قطاع التعليم

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

الكتب المدرسية وموارد التعلّم

إطار لرسم السياسات

الكتب المدرسية وموارد التعلّم

إطار لرسم السياسات

صدر في عام ٢٠١٤ عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة
7 place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, France

إن التسميات المستخدمة في هذا المطبوع وطريقة عرض المواد فيه لا تعبّر ضمناً عن أي رأي لليونسكو بشأن الوضع القانوني لأي بلد أو إقليم أو مدينة أو منطقة، ولا بشأن سلطات هذه الأماكن أو رسم حدودها أو تخومها.

وإن الأفكار والآراء المذكورة في هذا المطبوع تخص المؤلفين ولا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر اليونسكو ولا تلزم المنظمة بشيء.

© اليونسكو ٢٠١٤
جميع الحقوق محفوظة

التصميم الطباعي: اليونسكو
التنضيد الطباعي: اليونسكو
طبع في فرنسا

ED/2014/WS/3

شكر

لا بد من توجيه الشكر إلى العدد الكبير من الأفراد الذين أسهموا بخبراتهم القيّمة في إعداد هذه الطبعة المنقحة والمحدثة من إعلان المبادئ العامة الخاص باليونسكو والاستراتيجيات التي اقترحتها المنظمة لرسم سياسات خاصة بالكتب المدرسية تفي بمقتضيات هذا العصر. ونعرب عن امتناننا للأشخاص الذين شاركوا في اجتماع الخبراء الدولي الذي نظمه قسم التعليم من أجل السلام والتنمية المستدامة في يومي ٢٤ و٢٥ أيلول/سبتمبر ٢٠١٢، في مقر اليونسكو، بدعم من المملكة العربية السعودية. وقد اعتمدنا في عملنا اعتماداً كبيراً على الاقتراحات المستنيرة لعدنان الأمين وأمينة لريني وأنجيلا كاتابارو وم. أليو سو وسيلفي كرومر، الذين شكلت تعليقاتهم على وثيقة الاستراتيجية لعام ٢٠٠٤ أساساً لعملية التنقيح، وكذلك على التعليقات والإرشادات البناءة التي قدّمها ألان بيكوك وفالك بينجل وسوزان ف. كنودسن طيلة فترة إعداد هذه الوثيقة.

ولا بد من توجيه شكر خاص إلى جين برنارد التي تولت تنقيح الوثيقة وتحديثها ووضعها في صيغتها النهائية.

المحتويات

شكر ٣

تصدير ٧

أولاً – المقدمة ٨

الخلفية والمسوغات ٨

الفئة التي تتوجه إليها هذه الوثيقة ٩

النطاق والبنية ٩

الصلات مع أهداف اليونسكو وأولويتيها العامتين في مجال التعليم ١١

ثانياً – المبادئ الرئيسية ١٣

١– **إمكانية الانتفاع بالكتب المدرسية وموارد التعلّم.** ١٣

٢– الجودة والملاءمة ١٤

٣– فعالية الكتب المدرسية وموارد التعلّم بوصفها أدوات لبناء السلام وتحقيق المواطَنة العالمية ١٤

ثالثاً – الاستراتيجيات ١٦

١– الاستراتيجيتان الشاملتان ١٧

٢– استراتيجيتان لضمان الانتفاع بالكتب المدرسية وموارد التعلّم ١٨

٣– استراتيجيتان لضمان الجودة ٢٠

٤– استراتيجيتان لضمان فعالية الكتب المدرسية وموارد التعلّم بوصفها أدوات لبناء السلام وتحقيق المواطَنة العالمية ٢١

رابعاً – أساليب العمل المقترحة ٢٤

١– تجديد الحوار الدولي بشأن التدابير الرامية إلى ضمان جودة موارد التعلّم وإمكانية الانتفاع بها . . ٢٤

٢– زيادة أنشطة الترويج والتوعية المتعلقة بدور الكتب المدرسية وموارد التعلّم في تعزيز محو الأمية وتحسين التعلّم مدى الحياة ٢٤

٣– اتخاذ تدابير محددة الهدف لدعم الجهود المبذولة على الصعيد الوطني والإقليمي والأقاليمي من أجل تعزيز السلام والمواطَنة العالمية والمساواة بين الجنسين والتنمية المستدامة من خلال الكتب المدرسية وموارد التعلّم ٢٥

٤– توفير دورات تدريبية وأنشطة لبناء القدرات مراعية لاحتياجات المستفيدين، تتناول جميع جوانب عملية إعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم. ٢٦

٥– تحديث منابر النقاش وتوسيع نطاق قنوات الاتصال لتبادل نتائج البحوث والموارد والممارسات الجيدة والحلول الابتكارية ٢٦

خامساً – الأولويات ٢٨

١- توفير كتب مدرسية وموارد تعلّم جيدة بأعداد كبيرة وعلى نحو مستمر، وتوزيعها توزيعاً منصفاً في المناطق الأشد احتياجاً إليها ٢٩
٢- استخدام جميع وسائل التعلّم بمزيد من الفعالية بوصفها أدوات متعددة الوسائط تثير اهتمام الدارسين وتضمن جودة التعلّم ٢٩
٣- التركيز على الكفاءات الأساسية المتعلقة بالمواطَنة العالمية. ٢٩

سادساً - القضايا والتحديات ٣٠
١- مقاومة التغيير ٣٠
٢- تضارب الأولويات الحكومية. ٣٠
٣- النقص في القدرات وفي الموارد ٣١

سابعاً - الشراكات ٣٢
١- الشراكات مع وكالات أخرى تابعة للأمم المتحدة ٣٢
٢- الشراكات مع الرابطات الدولية والشبكات والقطاع الخاص ٣٢

الملحق: لمحة تاريخية ٣٤

تصدير

منذ صدور «استراتيجية اليونسكو الشاملة بشأن الكتب المدرسية ومواد التعلّم» في عام ٢٠٠٤، شهد دور الكتب المدرسية في مجالَي التعليم والتعلّم تحولاً عميقاً. ففي الكثير من أنحاء من العالم، لم يعد المعلمون والدارسون ينظرون إلى الكتب المدرسية المطبوعة والمنضدة على أنها المصدر الموثوق به الوحيد للمعرفة، بل باتوا يعتبرونها مصدراً من بين مصادر أخرى عديدة. وفي قاعات الدراسة والمكتبات والمنازل حيث يمكن الانتفاع بالإنترنت انتفاعاً حراً، أفضت وسائل الإعلام الجديدة إلى تعزيز الفرص المتاحة للدارسين لاكتساب ما يحتاجون إليه من معارف ومهارات ومواقف لمواكبة مقتضيات عالمنا المتغير. ومع ذلك، فرض انتشار المعلومات المتوافرة فوراً على الإنترنت تحديات غير متوقعة على راسمي السياسات والمربين والآباء. وفي حين أن الشواغل القديمة المرتبطة بجودة الكتب المدرسية وبطرائق استخدامها لا تزال قائمة، فإن سبل الاستفادة على النحو الأمثل من التكنولوجيات ونهوج التعلّم الدائمة التطور أضحت مسألة تجتذب قدراً متزايداً من الاهتمام.

وفي ضوء ما يطرأ من تغيرات سريعة في مقتضيات الحياة والعمل، ينظر عدد متزايد من الأشخاص إلى التعلّم على أنه نشاط ممتع لا بد من مواصلته مدى الحياة باستخدام جميع الموارد المتاحة. وإقراراً بالحاجة المستمرة إلى تعزيز الانتفاع بالتعليم الجيد والجامع مدى الحياة، تجدد اليونسكو جهودها الرامية إلى مساعدة راسمي السياسات والمربين في شتى أنحاء العالم على وضع نظم مستدامة لتوفير كتب مدرسية وموارد تعلّم تلبي الاحتياجات الراهنة للدارسين بمزيد من الفعالية.

وتشكل هذه الوثيقة عنصراً رئيسياً من «مجموعة الأدوات الخاصة باليونسكو والرامية إلى تنقيح وتكييف المناهج الدراسية والكتب المدرسية وغيرها من مواد التعلّم لضمان خلوها من الصور النمطية المتعلقة بالثقافة والدين والجنسين»، وهي تعالج بصورة مباشرة مسائل الانتفاع والجودة والملاءمة التي تنطبق على جميع موارد ومواد التعلّم تقريباً. وروعيت عند تحديث طبعة عام ٢٠٠٤ وتنقيحها الإسهامات التي قدّمها فريق موسع ومتنوع يضم خبراء دوليين شاركوا عن كثب في عملية إعداد مجموعة الأدوات المذكورة بعناصرها المختلفة. وترمي مجموعة الأدوات ككل إلى تزويد راسمي السياسات والمؤلفين والباحثين وغيرهم من الأشخاص المعنيين بإعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم وتوزيعها واستخدامها بما يلزم من أدوات لتحسين جودة هذه الكتب والموارد وتعزيز ملاءمتها.

ومع أن المبادئ والاستراتيجيات الواردة في هذه الوثيقة تراعي الأولويات المحددة لمختلف نظم التعليم في العالم، فإنه يجدر التشديد على أنها تغطي أيضاً الاحتياجات والتطلعات المشتركة للدارسين، أينما وجدوا. وسواء أكان الوسيط التعليمي قائمة أبجدية أم كتاباً إلكترونياً، فهو يتيح، بغض النظر عن أعمار الدارسين وتجاربهم، نقل القيم إليهم كما يحدد الطريقة التي يتفاعلون بها مع البيئة المحيطة بهم. ومن هذا المنطلق، ما زالت الوسائط التعليمية تقدّم حتى اليوم إمكانات هائلة لتعزيز المبادئ الأساسية لليونسكو. واستناداً إلى ما للمنظمة من خبرة طويلة الأجل ودور ريادي في البحوث الدولية والأنشطة البرنامجية المتعلقة بالكتب المدرسية، يبيّن الإطار المقترح في هذه الوثيقة الدور الجوهري الذي تؤديه موارد التعلّم التقليدية والحديثة على حد سواء، بوصفها أدوات تعزز السلام عن طريق تثقيف الدارسين بمسائل التفاهم وحقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين والتنوع، وذلك في جميع مستويات التعلّم. وإننا نعتبر أن إصدار هذه الوثيقة التوجيهية المنقحة والمحدثة هو خطوة ضرورية وبالغة الأهمية في جهودنا الرامية إلى مساعدة البلدان في تحقيق أهدافها الإنمائية والوفاء بما قطعته من التزامات في مجال التعليم لصالح الأجيال الحالية والمقبلة.

أولاً – المقدمة

الخلفية والمسوغات

«تتمثل إحدى أثمن الثروات التي تمكّن اليونسكو من تحقيق أهدافها في قدرتها الفريدة على أن تكون مركزاً للتبادل والحوار على أسس سلمية وبناءة، مما يفضي إلى تعزيز التفاهم والالتزامات بين الشعوب والأمم، وإلى تعزيز التنوع الثقافي»[١].

إيرينا بوكوفا

لليونسكو سجل طويل وعريق من الإنجازات في مجال تنقيح الكتب المدرسية. وشكلت الدورة الأولى للمؤتمر العام لليونسكو، التي عُقدت في عام ١٩٤٦، نقطة انطلاق عمل المنظمة في هذا المجال، إذ تقرر خلال هذه الدورة استهلال أنشطة ترمي إلى «تحسين نوعية الكتب المدرسية»[٢] عن طريق إجراء عمليات استعراض داخلية أو ثنائية أو إقليمية للنصوص المستخدمة في تدريس مواد التاريخ والتربية المدنية والجغرافيا. وتمثل الهدف الرئيسي لعمليات الاستعراض هذه في جعل النصوص المعنية خالية من الصور النمطية السلبية المرتبطة «بالآخر» ومن أي أفكار تنطوي على تمجيد للحرب. وتم اعتباراً من السبعينات توسيع نطاق الرؤية الخاصة بعملية تحسين جودة الكتب المدرسية وغيرها من مواد التعلّم كي تشمل مبادئ والتزامات عالمية مشتركة مثل المساواة بين الجنسين، وحق الجميع في التعليم، والتنمية المستدامة.

وتجدر الإشارة إلى أن الاعتراف الذي يحظى به دور موارد التعلّم كافة بوصفها أدوات لبناء السلام وتحقيق المواطَنة العالمية لم يتراجع بفعل إضافة أولويات جديدة، بل تعاظم بحيث بات السلام والمواطَنة العالمية يمثلان الهدف النهائي لجميع المبادرات التعليمية. ومن بين دعائم التربية الأربع في عالم يتغير التي حُددت في «التقرير الذي قدمته إلى اليونسكو اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين»، اعتُبرت الدعامة الثالثة، أي «تعلّم العيش معاً»، الأولوية القصوى لعصرنا. ويبرِز التوجه الاستراتيجي الذي تم تحديده في استراتيجية اليونسكو المتوسطة الأجل للفترة ٢٠٠٨–٢٠١٣ الدور الهام للتعليم في بناء ثقافة مستدامة للسلام.

وانبثقت فكرة تجديد وتحديث سياسة اليونسكو الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم بغية التصدي لتحديات قديمة وجديدة على حد سواء عن سلسلة من الأنشطة البرنامجية. فبعد إنجاز مشروع البحوث المقارنة الطليعي الذي نفذته اللجنتان الوطنيتان الفرنسية والمغربية، استهل قطاع التربية في عام ٢٠٠٦، بالتشارك مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، مبادرة أسفرت عن وضع مجموعة من المبادئ التوجيهية الأقاليمية بشأن إعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم. وسعياً إلى مواصلة هذا العمل، اتفقت المملكة العربية

١ اليونسكو، الوثيقة ٣٦م/٥، البرنامج والميزانية المعتمدان ٢٠١٢–٢٠١٣، مقدمة المديرة العامة (باريس: اليونسكو، ٢٠١٢)، الصفحة iii.
٢ اليونسكو، القرار ١م/٦: تحسين الكتب المدرسية والمواد التعليمية (باريس: اليونسكو، ١٩٤٦).

السعودية واليونسكو في عام ٢٠١١ على تنفيذ مشروع جديد شامل[٣] يرمي إلى تحديث السياسة العامة الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم، وتوسيع نطاق المبادئ التوجيهية المذكورة، ووضع أداة تدريبية عملية مخصصة لمعدّي المواد التعليمية. ومن المزمع جمع هذه الوثائق الأساسية مع مطبوعات أخرى صدرت حديثاً عن اليونسكو بشأن المساواة بين الجنسين والتنوع لتوزيعها في شكل «مجموعة أدوات شاملة لتنقيح وتكييف المناهج الدراسية والكتب المدرسية وغيرها من مواد التعلّم لضمان خلوها من الصور النمطية المتعلقة بالثقافة والدين والجنسين».

وتماشياً مع أولويات اليونسكو الاستراتيجية في مجال التعليم، وإقراراً بالدور المتغير للكتب المدرسية في عمليات التعلّم، يشمل هذا الإطار المحدث والمنقح لرسم السياسات الاحتياجات المتنوعة لجميع الدارسين في مجموعة واسعة من السياقات الثقافية والاقتصادية والتعليمية. كما يعطي الإطار الأولوية لضرورة أن تلبي اليونسكو، على وجه السرعة وبالطريقة المناسبة، الاحتياجات الملحّة للمجتمعات والجماعات التي تمر بأوقات عصيبة، وذلك بالتنسيق مع شركائها. ويتمثل الهدف الطويل الأجل للمبادئ والاستراتيجيات الواردة في هذه الوثيقة المعنونة «إطار لرسم السياسات الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم» في استهلال عمليات ذات طابع عالمي وإقليمي ووطني، تراعي مختلف الثقافات والتقاليد وتتوافق في الوقت نفسه مع رؤية أوسع نطاقاً للتعّلم في عالم سريع التغيّر. ومثلما يتضح من عنوان هذه الوثيقة، ترمي المبادئ والاستراتيجيات المذكورة إلى تعزيز الدعم المقدم لإعداد وتوفير كتب مدرسية ومواد تعلّم مناسبة لمرحلة التعليم المرجو استخدامها فيها، واستيعابية، وكفيلة بإثارة اهتمام الدارسين على اختلاف أعمارهم ومهاراتهم وفي جميع أنواع بيئات التعلّم.

الفئة التي تتوجه إليها هذه الوثيقة

مع أن هذه الوثيقة تتوجه بصورة رئيسية إلى الجهات المسؤولة عن إعداد السياسات التعليمية على الصعيد الإقليمي أو الوطني أو المحلي، فإن عملية الإعداد هذه ترتكز بصورة متزايدة على المشاركة إذ باتت تشمل الناشرين والمؤلفين والمعلمين والآباء والدارسين. ويؤمل بالتالي أن يوضع إطار رسم السياسات هذا، وكذلك الأدلة والمبادئ التوجيهية والموارد الأخرى التي تشملها مجموعة الأدوات، في متناول جميع الجهات المعنية بإعداد واختيار واستخدام الكتب المدرسية وموارد التعلّم لتمكينها من تحقيق رؤيتها الخاصة بالتعليم الجيد.

النطاق والبنية

يشتمل هذا الإطار الخاص برسم السياسات على مبادئ واسعة النطاق تنطبق على جميع مراحل إعداد واستخدام الكتب المدرسية، بدءاً بمراحل التخطيط الأولي وانتهاءً بمراحل إنتاج الكتب واستعراضها وتنقيحها وتوزيعها لتيسير عمليتَي التعليم والتعلّم.

وتمثل النسخة المحدثة والمنقحة للسياسة العامة الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم[٤] الركيزة المفاهيمية لمجموعة الأدوات المذكورة أعلاه، وهي تعالج التحدي العام المرتبط بموارد التعلّم انطلاقاً من المبادئ الثلاثة التالية التي يقترن كل مبدأ منها بأنشطة استراتيجية محددة تتوجه إلى راسمي السياسات الوطنية والإقليمية:

---

٣ يشكل هذا المشروع جزءاً من «برنامج عبد الله بن عبد العزيز الدولي لثقافة السلام والحوار» الذي يرمي إلى «المساهمة في صون السلام والأمن بالعمل، عن طريق التربية والعلم والثقافة والاتصال، على توثيق عرى التعاون بين الأمم، لتعزيز احترام العدالة وحقوق الإنسان والحريات، بدون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين».

٤ ترتكز هذه النسخة على الوثيقة التالية: UNESCO, A Comprehensive Strategy for Textbooks and Learning Materials (Paris: UNESCO, 2004)

إمكانية الانتفاع بموارد التعلّم: توفير مواد تعلّم جيدة لجميع الدارسين على الرغم من العقبات الناجمة عن المسافة أو العمر أو اللغة أو الأصل الإثني أو نوع الجنس أو القدرات؛

الجودة: تسخير قوة التكنولوجيات القديمة والجديدة على حد سواء لتيسير عمليات التعلّم الجيد مدى الحياة بطرائق بناءة ومجدية؛

الفعالية: وضع معايير خاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم للنهوض بقدرتها على تعزيز السلام والمواطَنة العالمية.

وفي إطار الجزء الثاني من هذه الوثيقة، تم التطرق إلى كل مبدأ من هذه المبادئ بوصفه هدفاً ثلاثي المحاور يتمثل بوجه عام في **دعم الجهود التي تبذلها النظم التعليمية لتحسين جودة الكتب المدرسية وموارد التعلّم وتعزيز إمكانية الانتفاع بها بوصفها أدوات تتيح التصدي لتحديات التعليم في القرن الحادي والعشرين.**

ويقدّم الجزء الثالث ست استراتيجيات محددة ترتبط بكل مبدأ من المبادئ الرئيسية الآنفة الذكر وتمثل محاور عمل تندرج في إطار أولويات اليونسكو الشاملة في مجال التعليم. ولمحاور العمل هذه هدف مشترك هو مساعدة الدول الأعضاء والمنظمات الشريكة في إعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم وتوزيعها توزيعاً منصفاً واستخدامها على النحو الأمثل لتيسير التعليم الجيد والجامع.

ويوفر الجزء الرابع شرحاً أكثر تعمقاً لهذا الموضوع إذ يتضمن معلومات مفصلة عن عدة أساليب عمل وضِعت خصيصاً للسلطات التعليمية كي تنظر فيها عند تحديد أولوياتها وعند إعداد خطط التنفيذ المناظرة لهذه الأولويات.

ويحدد الجزء الخامس ثلاث أولويات عامة موازية لأولويات جدول أعمال التعليم الجاري إعداده لمرحلة ما بعد عام ٢٠١٥، بغية التصدي لتحديات قائمة منذ زمن طويل وأخرى يُتوقع أن تطرأ في المستقبل. أما الجزء السادس من الوثيقة، فيتناول القضايا والمشكلات التي يُحتمل أن تشكل عقبات رئيسية في السعي إلى توفير كتب مدرسية وموارد تعلّم جيدة واستخدامها على نحو مستمر ومنصف. ومثلما هو الحال بالنسبة إلى جميع عناصر هذه الوثيقة التوجيهية، فإن القائمة ليست شاملة البتة وستطول حتماً مع بروز تحديات وحلول جديدة.

الشكل ١: عناصر السياسة العامة الخاصة بالكتب المدرسية

تُعد الشراكات التي تقيمها اليونسكو مع وكالات أخرى تابعة للأمم المتحدة، ومع مجموعة من معاهد البحث والشبكات والرابطات المهنية والمنظمات الإقليمية، عاملاً أساسياً في ضمان قدرة المنظمة على الوفاء بوظيفتها كمركز لتبادل الأفكار ولإقامة حوار بنّاء بشأن المسائل المتعلقة بالدور البالغ الأهمية للكتب المدرسية وموارد التعلّم في تحديد القيم والهويات، وهي مسائل غالباً ما تكون خلافية. وترد في الجزء السابع قائمة جزئية بهذه الشراكات الرئيسية، في حين يقدّم الملحق لمحة تاريخية عن دور اليونسكو الفريد في إعداد الكتب المدرسية وتنقيحها.

الصلات مع أهداف اليونسكو وأولويتيها العامتين في مجال التعليم

وضِع إطار رسم السياسات الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم لهدف محدد هو إزالة العقبات التي تعوق عملية التعلّم بسبب نوع الجنس أو العمر أو اللغة أو الطبقة الاجتماعية أو المسافة، وهو يرمي بالتالي إلى توفير فرص جديدة لبلوغ أهداف اليونسكو في مجال التعليم وللإسهام في تحقيق الأولويتين العامتين للمنظمة. ومثلما يتضح من الجدول الوارد أدناه، يرتبط إطار رسم السياسات الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم ارتباطاً مباشراً بالهدفين الاستراتيجيين لبرنامج اليونسكو اللذين اعتمدتهما الدول الأعضاء لتوجيه عمل المنظمة المتعلق بالتعليم في الأجل المتوسط (٢٠٠٨-٢٠١٣).

الصلات مع أهداف اليونسكو المتوسطة الأجل (٢٠٠٨-٢٠١٣)	
الهدف الشامل الأول	• تأمين التعليم الجيد للجميع والتعلّم مدى الحياة
الهدف الاستراتيجي الأول للبرنامج	• تعزيز دور اليونسكو القيادي والتنسيقي العالمي لبرنامج التعليم للجميع ودعم القيادة الوطنية لصالح التعليم للجميع
الهدف الاستراتيجي الثاني للبرنامج	• استحداث السياسات والقدرات والأدوات التي تؤمّن التعليم الجيد للجميع والتعلّم مدى الحياة، وتعزيز التعليم من أجل التنمية المستدامة

وقد حُددت في وثيقة البرنامج والميزانية المعتمدين لعامي ٢٠١٢-٢٠١٣، بمزيد من التفصيل، مجالات العمل التي ينبغي أن يركز عليها قطاع التربية، وهي مجالات صيغت في شكل أولويات لفترة العامين تناظرها محاور عمل محددة. ومع أن السياسة العامة الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم تدعم بصورة غير مباشرة جميع محاور العمل هذه، فإنها ترتبط على وجه التحديد بما يلي:

الأولوية القطاعية الأولى لفترة العامين: *تحسين الإنصاف والاستيعاب والجودة في التعليم والتعلّم مدى الحياة من أجل تحقيق التنمية المستدامة وإحلال ثقافة السلام واللاعنف*

محور العمل ١: *تعجيل وتيرة التقدم نحو تحقيق أهداف التعليم للجميع، ولا سيما على الصعيد القطري*

محور العمل ٢: *بناء نظم تعليمية جيدة واستيعابية*

محور العمل ٣: *دعم نظم التعليم في تصديها للتحديات المعاصرة التي تواجه التنمية المستدامة وثقافة السلام واللاعنف*

ويفيد «التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع» لعام ٢٠٠٦ بأن السمة الأبرز لجدول أعمال التعليم للجميع هي أنه يسعى إلى ضمان المساواة بين الجميع في الانتفاع بالتعليم، بغض النظر عن الخلفيات الاجتماعية أو الثقافية، ويتضمن تفسيراً للتعليم الجيد يرتكز على مبدأ الاستيعاب، لا الاستبعاد، ويعزز قيماً عالمية مشتركة. وترتبط المبادئ والاستراتيجيات وأساليب العمل الموصى بها في هذه الوثيقة بالمجالات عينها التي يركز عليها جدول أعمال التعليم للجميع. وإضافةً إلى دعم الجهود الرامية إلى تحقيق أهداف اليونسكو المتوسطة الأجل وأولويتيها القطاعيتين لفترة العامين في مجال التعليم وبرامجها المشتركة بين القطاعات، التي يُرجح أن ترتكز عليها محاور العمل المستقبلية في العقود القادمة، تعالج السياسة العامة الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم الأولويتين

العامتين لليونسكو، أي الأولوية لأفريقيا التي تُعد أكثر المناطق احتياجاً إلى الدعم لتعزيز الانتفاع بالتعليم والنهوض بجودته، والأولوية للمساواة بين الجنسين، بوصفهما مبدأين ومجموعتين من المواقف وأنماط السلوك يمكن تعزيزهما بفعالية على الصعيد العالمي في الكتب المدرسية وموارد التعلّم ومن خلالها.

وإلى جانب ذلك، تمت مراعاة الدور البالغ الأهمية للكتب المدرسية وموارد التعلّم في بناء المهارات الأساسية للقراءة والكتابة والحساب، وكذلك فعاليتها بوصفها أدوات تتيح نقل القيم الأساسية التي ترتكز عليها المواطَنة العالمية وثقافة السلام. ومثلما جاء في إطار محور العمل ٣، «تشتمل التربية من أجل المواطَنة العالمية على تثقيف في مجال حقوق الإنسان؛ وتثقيف مناهض للتمييز؛ ودور التاريخ في النهوض بالتربية في مجال القيم، والتربية في مجال تفاعل الثقافات وتفاعل العقائد؛ والتثقيف من أجل الوقاية من الفظائع؛ والتثقيف من أجل اشتمال الأقليات (بما فيها الأقليات اللغوية والثقافية)».

وفي كل ما ورد أعلاه، ترتبط المبادئ والاستراتيجيات وأساليب العمل المحددة في هذا الإطار المحدث والموسع لرسم السياسات ارتباطاً وثيقاً بأنشطة مكتب التربية الدولي لليونسكو الذي يمثل معهد المنظمة المتخصص في إجراء البحوث بشأن المناهج الدراسية وفي إعدادها وتنفيذها. فالكتب المدرسية وموارد التعلّم، ومنها أدوات التدريب والأدلة الخاصة بالمعلمين والموارد المتاحة على الإنترنت ووسائل التعلّم الإلكترونية، تُعد «مضامين تعليمية» وتندرج جميعها بالتالي في نطاق المهمة التي يضطلع بها مكتب التربية الدولي لليونسكو لبناء القدرات في مجال إعداد المناهج الدراسية على الصعيدين الإقليمي والوطني.

وتدأب اليونسكو منذ تاريخ إنشائها على اتخاذ تدابير لتحسين جودة الكتب المدرسية. ويشكل نشر هذا الإطار والعناصر الأخرى لمجموعة الأدوات خطوة تدشن بها المنظمة مرحلة جديدة في عملية التأمل الهادفة إلى تحديد سبل تكييف الكتب المدرسية وموارد التعلّم مع التحديات المتغيرة والتكنولوجيات الناشئة والالتزامات العالمية المستجدة.

ثانياً - المبادئ الرئيسية

يُعتبر الانتفاع المنصف بكتب مدرسية ومواد تعلّم عالية الجودة عاملاً أساسياً في نجاح عملية التعلّم مدى الحياة. وكي يتسنى إحراز تقدّم ملموس في تحقيق هذا الهدف، لا بد من إيلاء المبادئ المترابطة الثلاثة المتمثلة في إمكانية الانتفاع بالكتب المدرسية وموارد التعلّم والجودة والفعالية القدر عينه من الأهمية عند النظر فيها.

الشكل ٢: هدف السياسة العامة الخاصة بالكتب المدرسية ومبادئها الرئيسية

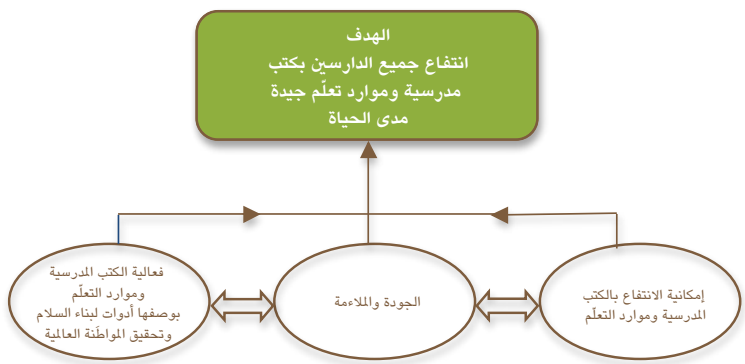

ولا يمكن للكتب المدرسية وموارد التعلّم العالية الجودة والملائمة أن تكون مفيدة إلا إذا وضعت في متناول الدارسين. ويُحتمل أن تتسم الموارد بجودة عالية من حيث نتائج التعلّم التي تتيح تحقيقها وأن تكون في الوقت عينه ذات قيمة مشكوك فيها إذا عجزت عن تلبية الاحتياجات الفعلية للدارسين، سواء أكان ذلك على الصعيد الفردي أم المحلي أم على الصعيد الجماعي باعتبار الدارسين مواطنين عالميين.

ومن الجدير بالذكر أن كل مبدأ من المبادئ المذكورة أعلاه يقترن حتماً بتفسيرات متعددة نتيجةً لأوجه الاختلاف في المصطلحات وجداول الأعمال الخاصة بمختلف المنظمات والنظم. ويرد أدناه، على سبيل التوضيح، شرح لكل مبدأ يبيّن ارتباطه بالأولويات التعليمية لليونسكو والطريقة التي استُخدم بها في هذه الوثيقة التوجيهية:

١- إمكانية الانتفاع بالكتب المدرسية وموارد التعلّم

تشير عبارة «إمكانية الانتفاع بالكتب المدرسية وموارد التعلّم» إلى قدرة أي فرد أو مجموعة على اقتناء هذه الأدوات واستخدامها، سواء أكانت مجانية أم متاحة بسعر معقول. وفي إطار نظم التعليم النظامية، يرتكز الانتفاع بالموارد التعليمية على السياسات المعدة لتزويد المدارس والمعلمين والدارسين بكتب مدرسية ومواد تكميلية ومعينات تعليمية وغيرها من الأدوات. ويمكن أن تشمل هذه السياسات أيضاً تدابير لتوزيع مواد تعليمية على المكتبات والمؤسسات التي تقدّم برامج تعليمية غير نظامية أو بديلة. وخارج إطار المواد المطبوعة، وبالنظر إلى الانتشار السريع لخدمات شبكة الإنترنت العريضة النطاق، بات بإمكان الدارسين الانتفاع بمجموعة واسعة من الموارد مثل المواد المتاحة في المكتبات الموجودة على الإنترنت[٥]، والكتب المدرسية القابلة للتنزيل التي

٥ مثل المكتبة الرقمية الدولية للأطفال (ICDL) التي توفر بالمجان كتباً رقمية عالية الجودة من شتى أنحاء العالم.

ترتبط بمنهج دراسي وطني أو محلي[٦]، والكتب الإلكترونية، والمواد المتعددة الوسائط، والحصص الدراسية المتاحة على الإنترنت، وغيرها من أنواع الموارد التعليمية المفتوحة. ويُعد الانتفاع بنوع ثالث من موارد التعلّم، أي الموارد التي ينتجها حملة المعارف والمهارات التقليدية باستخدام موارد محلية، مسألة يتعين النظر فيها لأن وسائل التعلّم الخاصة بالسكان الأصليين تستلزم أحياناً دعماً متواصلاً من أجل التوعية بجدواها وملاءمتها.

٢- الجودة والملاءمة

«يُعتبر التعليم ذا مستوى جيد عندما يفي بحاجات التعلّم الأساسية ويثري حياة الدارسين وتجربتهم في الحياة بشكل عام».

إطار عمل داكار، ٢٠٠٠

يشير مفهوم «التعليم الجيد» بوجه عام إلى عملية تمكّن الدارسين من اكتساب المهارات التقنية اللازمة لعالم العمل، ومن التكيف مع تغير ظروف الحياة وتحمّل مسؤوليات أكثر تعقيداً. وقد تشمل الكفاءات اللازمة للحياة والعمل في القرن الحادي والعشرين، على سبيل المثال، القدرة على التعاون مع الآخرين لحل المشكلات، وعلى التصدي للتحديات الجديدة بإبداع ومرونة، والقدرة على التفكير بحس نقدي والتواصل مع الناس على نحو فعال بعدة لغات. ولا بد للتعليم الجيد، بموجب هذا المفهوم الواسع النطاق، من أن يكون استيعابياً بطبيعته، أي أن يلبي احتياجات جميع الدارسين ويعدّهم لمواجهة التحديات التي قد تطرأ في المستقبل. وفي إطار المناهج الدراسية والكتب المدرسية وأساليب التعليم وبيئات التعلّم، يشمل مبدأ الجودة الأساسي عامل الملاءمة أيضاً. ويعني ذلك أن التعليم الجيد هو من حيث الجوهر تعليم ملائم لحياة الدارسين وأهدافهم وبيئتهم الثقافية.

وغالباً ما ترتكز المعايير المستخدمة لتقييم جودة الكتب المدرسية وموارد التعلّم على الشكل الخارجي لهذه المواد وإمكانية استخدامها لمدة طويلة وفعاليتها في إيصال المعلومات إلى الطلبة وفي تعليمهم. ويجري أحياناً تقييم جودة وسائل التعلّم الإلكترونية استناداً إلى الإمكانات التي توفرها، وتصميمها، ومدى تفاعل المستخدمين معها، وسهولة استعمالها. ولا بد من الإجابة عن الأسئلة المرتبطة بمدى دعم وسائل ومواد التعلّم للمناهج الدراسية، ومدى فعاليتها في حفز الدارسين وإثارة اهتمامهم، ومدى ملاءمتها لحياة الدارسين وتطلعاتهم، بغية مساعدة راسمي السياسات ومنفذيها على تحديد ما يتوافر من دعم فعلي لضمان جودة النظام التعليمي.

٣- فعالية الكتب المدرسية وموارد التعلّم بوصفها أدوات لبناء السلام وتحقيق المواطَنة العالمية

«يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماءً كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام».

المادة ٢٦,٢ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨

٦ مثل المجموعة المشتملة على مائة كتاب مدرسي، التي وضِعت في متناول الطلبة العراقيين من خلال موقع خاص أنشأه مكتب اليونسكو في العراق.

إن الفعالية أو الإمكانات التي تنطوي عليها الكتب المدرسية وموارد التعلّم القديمة والجديدة بوصفها أدوات تتيح تعزيز السلام والمواطَنة العالمية تقع في صميم الرسالة الرئيسية لليونسكو المتمثلة في «بناء حصون السلام» في عقول الرجال والنساء. ويتسم هذا المبدأ بالقدر عينه من الأهمية، وربما قد ازدادت أهميته مقارنةً بما كان عليه في عام ١٩٤٦ عندما قرر المؤتمر العام لليونسكو، في دورته الأولى، التركيز على موضوع الكتب المدرسية. وقد تم توثيق نمو البحوث الدولية الرامية إلى تنقيح الكتب المدرسية بطرائق تعزز التفاهم بين «أعداء الماضي» توثيقاً جيداً في الطبعة الثانية المنقحة والمحدثة من «دليل اليونسكو لإجراء البحوث بشأن الكتب المدرسية وتنقيحها»[٧].

وأقر المشاركون في المناقشات والأنشطة الدولية التي تمحورت، اعتباراً من السبعينات، حول دور التعليم في بناء السلام عن طريق تعزيز التفاهم ومنع النزاعات على الصعيد الدولي بضرورة اتّباع نهج شامل يجمع بين التخصصات ويتجاوز الحدود الجغرافية. وعلى سبيل المثال، دعيت الدول الأعضاء في «التوصية الخاصة بالتربية من أجل التفاهم والتعاون والسلام على الصعيد الدولي والتربية في مجال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية»[٨] إلى «أن تشجع السلطات التعليمية والمربين على تقديم برامج تعليمية (...) يجمع مضمونها بين شتى فروع العلم، ويوجَّه نحو حل المشكلات، ويواءم مع تشابك القضايا التي ينطوي عليها تطبيق حقوق الإنسان والتعاون الدولي»، وأن تشجع، في جميع مستويات التعليم، وحتى في التعليم ما قبل المدرسي، الأنشطة التي تنمي المواقف الإيجابية ومهارات التوسط لفض النزاعات. وتلاقي الأنشطة التي تُنفذ تحت رعاية اليونسكو وشركائها[٩] في مجال البحوث الدولية المتعلقة بالكتب المدرسية قبولاً كبيراً وقد أنتجت نماذج قابلة للتطبيق والتكييف ومنهجيات موثوق بها تتيح فهم وتقييم فعالية ودور الكتب المدرسية في بناء السلام.

وغالباً ما يُنظر إلى المفهومين التوأم المتمثلين في السلام والمواطَنة العالمية على أنهما بعدان من أبعاد التعليم الجيد. ويمكن اعتبار هذين المفهومين وممارسات التعليم والتعلّم المقترنة بهما أدوات ونتائج على حد سواء. وأسفر تلاقي محور العمل هذا الذي يغطي مجموعة من المهارات والمعارف والمواقف مع محاور عمل أخرى مماثلة له عن ظهور مفهوم التعليم من أجل المواطَنة العالمية الذي جرى التعمق فيه في إطار برنامج الأمم المتحدة العالمي للتثقيف في مجال حقوق الإنسان (٢٠٠٥-جارٍ)[١٠]. وترتكز السياسات والممارسات التعليمية التي تعزز السلام والمواطَنة العالمية في المدارس أو في قاعات دراسة مؤقتة أو في بيئات تعلّم افتراضية على قيم مشتركة، وترمي إلى تحقيق أهداف مشتركة. وترتبط فعالية الكتب المدرسية وموارد التعلّم بوصفها أدوات لبناء السلام بما توفره من إمكانات لتيسير تطبيق هذه الممارسات وتحقيق هذه الأهداف من خلال مضامينها وتصميمها وقدرتها على إيصال المعلومات إلى الطلبة.

٧ Falk Pingel, (Paris/Braunschweig: UNESCO and GEI, 2010)

٨ اعتمدها المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة عشرة، في عام ١٩٧٤.

٩ ولا سيما في إطار الشراكة القائمة منذ زمن طويل مع معهد جورج ايكرت للبحوث الدولية بشأن الكتب المدرسية.

١٠ انظر أيضاً Education Above All, Education for Global Citizenship, Ed. Margaret Sinclair (Doha: EAA, 2012)

ثالثاً - الاستراتيجيات

ترمي الاستراتيجيات الواردة في هذا الجزء إلى توجيه عمل اليونسكو وشركائها المتعلق بإعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم وتوزيعها واستخدامها على النحو الأمثل لتيسير التعليم الجيد والجامع على جميع المستويات ومدى الحياة. والغرض من الجدول المبين أدناه هو توفير قائمة بالتدابير الممكنة التي تستطيع الجهات المعنية توسيع نطاقها وتكييفها مع الاحتياجات الإقليمية والقطرية. وترتكز محاور العمل على المبادئ الأكثر ارتباطاً بها، مع الإشارة إلى أن تطبيق الاستراتيجيتين الشاملتين الأوليين (أي «التوصل إلى توافق في الآراء بشأن الأطر والمعايير الدولية»، و«التشجيع على اعتماد حلول بديلة ونهوج ابتكارية») هو شرط أساسي للنجاح في تنفيذ جميع التدابير الاستراتيجية.

استراتيجيات لضمان الانتفاع بالكتب المدرسية وموارد التعلّم، وكفالة جودتها وفعاليتها	
الاستراتيجيتان الشاملتان	١- التوصل إلى توافق في الآراء بشأن الأطر والمعايير الدولية ٢- التشجيع على اعتماد حلول بديلة ونهوج ابتكارية
إمكانية الانتفاع بالكتب المدرسية وموارد التعلّم	• المساعدة على وضع خطط لتوفير الكتب المدرسية على نحو منصف ومستمر، ولإتاحة مواد القراءة وتعزيز الانتفاع بموارد التعلّم التي تلبي احتياجات جميع الدارسين • دعم الجهود المبذولة لبناء قدرات دور النشر الوطنية والمحلية على توفير الكتب المدرسية ومواد القراءة بسعر معقول
الجودة	• التشجيع على اعتماد نهوج تتمحور حول الدارسين ومنهجيات خاصة بالتعلّم النشط، وعلى الارتقاء بالمهارات المعرفية للدارسين • تشجيع الجهود المبذولة للاستفادة من المعارف والمهارات والمواد الخاصة بالسكان المحليين والأصليين بوصفها موارد مفيدة تساعد على تحقيق أهداف المناهج الدراسية
الفعالية	• المساعدة على رسم سياسات إقليمية ووطنية تعزز السلام والمساواة بين الجنسين والتنمية المستدامة في الكتب المدرسية وموارد التعلّم ومن خلالها • دعم المشاورات التي تُجرى على الصعيدين العالمي والإقليمي وفيما بين الجماعات الإثنية بشأن الكتب المدرسية وموارد التعلّم بغية مكافحة الصور النمطية السلبية وتشجيع تعدد وجهات النظر وتيسير الحوار بين الثقافات

١ - الاستراتيجيتان الشاملتان

١- التوصل إلى توافق في الآراء بشأن الأطر والمعايير الدولية

ينص «إطار عمل داكار» (٢٠٠٠) على أنه «في سبيل تقديم تعليم جيد النوعية، ينبغي للمؤسسات والبرامج التعليمية أن تحظى بموارد ملائمة ومنصفة، مع المتطلبات الأساسية من (...) الكتب وغيرها من المعدات التعليمية والتكنولوجيات الملائمة للسياق وزهيدة التكلفة والمتاحة للدارسين جميعاً».

وتتوافر اليوم فرص كثيرة لتجديد هذه النهوج أو أخرى مماثلة لها ولإحيائها. ومثلما هو الحال بالنسبة إلى جميع أشكال وسائط التعلّم، يمكن للكتب المدرسية وموارد التعلّم المستخدمة داخل قاعات الدراسة وخارجها إما أن تزيد من العقبات التي تعوق التفاهم بين الشعوب ذات الخلفيات التاريخية والمعتقدات الدينية والثقافات والقوانين الاجتماعية المختلفة، أو أن تزيل هذه العقبات. ومع أن اليونسكو ما زالت تجري مشاورات تقليدية بشأن الكتب المدرسية يشارك فيها باحثون ومؤلفون يمثلون مختلف وجهات النظر في هذا المجال، فإنه يمكن للمنظمة أن تستفيد من الإمكانات التي توفرها التكنولوجيات الجديدة لإنشاء منابر مشتركة وتحديد تجارب مشتركة انطلاقاً من وجهات نظر شديدة التباين[١١] داخل الحدود الإقليمية والوطنية وعبرها على حد سواء. ويُعد اعتماد إعلان عام ٢٠١٢ في إطار المؤتمر العالمي للموارد التعليمية المفتوحة خير مثال على التوافق الذي يمكن التوصل إليه على الصعيد العالمي[١٢].

وسعياً إلى بلوغ الهدف النهائي المتمثل في وضع مجموعة مقبولة دولياً من المعايير الخاصة بجودة الكتب المدرسية وموارد التعلّم وسبل الانتفاع بها، ستواصل اليونسكو تيسير الحوار الذي تجريه الدول الأعضاء بشأن التدابير الكفيلة بتعجيل وتيرة التقدم نحو ضمان الانتفاع المنصف بالكتب المدرسية وموارد التعلّم الجيدة بوصفه إحدى الركائز الأساسية لحق الجميع في التعليم.

٢- التشجيع على اعتماد حلول بديلة ونهوج ابتكارية

إن التطورات التي شهدتها تكنولوجيات الاتصال في العقود القليلة الماضية غيّرت الطرائق المتبعة في جميع أنحاء العالم لتصميم الكتب المدرسية وموارد التعلّم وإنتاجها وتوزيعها واستخدامها. ومع أن الكتب المدرسية العادية، أي المطبوعة والمنضدة، ما زالت تحتل مكانة بارزة في معظم النظم التعليمية، فإنها فقدت من أهميتها في إطار نظم أخرى وأضحت مجرد نوع من أنواع عديدة من الموارد. وإلى جانب ذلك، ونتيجةً لتأثير نظريات التعلّم التي ترتكز بدرجة أكبر على الحوار البنّاء وتأثير الخيارات القاضية بتعزيز الاعتماد على الحاسوب في عمليات التصميم[١٣]، باتت الكتب المدرسية تتصف في الكثير من الأحيان بتعدد ألوانها وبتنوعها من حيث المضامين والمنهجيات. وفي إطار المناقشات المتعلقة بجودة الكتب المدرسية وغيرها من وسائل التعلّم المطبوعة، ووسائل التعلّم الإلكترونية، والموارد المتاحة على الإنترنت، ستتعاون اليونسكو مع شركائها[١٤] لتحديد ودعم الممارسات الجيدة التي ثبتت فعاليتها في تعزيز الجودة والحد من أوجه التفاوت في نتائج التعلّم. وستعمد المنظمة أيضاً إلى استهلال حوار أوسع نطاقاً بشأن تطبيقات تكنولوجيات الطباعة الجديدة التي يمكن نقلها بمزيد من السهولة،

---

١١ وهو ما حصل في إطار المشروع المتعدد المراحل الذي وضعه مجلس أوروبا والمعنون «صورة الآخر في سياق تدريس مادة التاريخ».

١٢ يمكن الاطلاع على النص الكامل للإعلان وتنزيله على صفحة الإنترنت التالية:
http://www.unesco.org/new/en/communication-and-information/access-to-knowledge/open-educational-resources/

١٣ انظر Gunther Kress, Literacy in the New Media Age (London and New York: Routledge, n.d.)

١٤ مثل معهد جورج ايكرت للبحوث الدولية بشأن الكتب المدرسية والرابطة الدولية للبحوث في مجال الكتب المدرسية والوسائط التعليمية (IARTEM).

وتدابير ترشيد سلاسل التوزيع لتعزيز فعاليتها، بوصفها حلولاً يمكن اعتمادها لمواجهة ارتفاع تكاليف الكتب المدرسية المستوردة أو لتجنب اللجوء إلى نظم إنتاج الكتب التي تتسم بدرجة عالية من المركزية.

٢ - استراتيجيتان لضمان الانتفاع بالكتب المدرسية وموارد التعلّم

(١) المساعدة على وضع خطط لتوفير الكتب المدرسية على نحو منصف ومستمر، ولإتاحة مواد القراءة وتعزيز الانتفاع بموارد التعلّم التي تلبي احتياجات جميع الدارسين

كي يتسنى تلبية احتياجات جميع الدارسين، يجب الاعتراف بكل أوجه التنوع عند بني البشر وتمكين الجميع من الانتفاع بالتعليم الجيد على نحو منصف بغض النظر عن نوع الجنس أو العرق أو الأصل الإثني أو العمر أو الوضع الاقتصادي أو الخلفية الاجتماعية. ويعني ذلك في سياق الكتب المدرسية وموارد التعلّم أنه ينبغي توفير وسائط تُستخدم فيها لغات يفهمها الدارسون وتشمل مفاهيم وصيغاً لغوية مناسبة لمستواهم المعرفي[١٥]. وستعمد اليونسكو، تماشياً مع سياستها الخاصة بالتعليم المتعدد اللغات والتعليم باللغة الأم، إلى دعم الجهود المبذولة على الصعيد الوطني لتكون الكتب المدرسية والمواد الأخرى التي توفرها المدارس تيسيراً لاكتساب مهارات القراءة والكتابة في الصفوف الأولى مكتوبة باللغة (اللغات) الأم للدارسين. وكي يتسنى توفير الكتب المدرسية على نحو منصف ومستمر، يجب أيضاً تلبية احتياجات الدارسين ذوي الإعاقة. وعملاً بأحكام اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، ستقوم اليونسكو على وجه التحديد بتعزيز إنفاذ الحقوق التعليمية للدارسين، بما في ذلك «تيسير تعلّم طريقة برايل وأنواع الكتابة البديلة، وطرق ووسائل وأشكال الاتصال المعززة والبديلة»[١٦].

وإضافةً إلى ذلك، تقضي أي استراتيجية لتوفير الكتب المدرسية وموارد التعلّم على نحو منصف ومستمر بتعزيز الجهود المبذولة لتلبية احتياجات التعلّم لدى الفئات المستبعدة من التعليم. ولأسباب واضحة، تواجه النظم التعليمية القائمة في بلدان تعيش أوضاع النزاع أو تتعافى من كوارث طبيعية عقبات أكبر بكثير من العقبات التي تواجهها النظم الأخرى في مجال توفير الكتب المدرسية وموارد التعلّم. فحتى لو كان النظام الخاص بإنتاج الكتب المدرسية وتوزيعها قائماً قبل نشوب النزاع، فإن البنى الأساسية والقدرات التي تتيح نشر الكتب يمكن أن تكون قد تلاشت أو دُمرت بالكامل في أثناء النزاع[١٧].

ودأبت اليونسكو في إطار وظيفة بناء القدرات التي تضطلع بها في حركة التعليم للجميع على تكثيف أنشطتها الهادفة إلى ضمان الحق في التعليم لصالح المجتمعات المحلية القائمة في المناطق الفقيرة والنائية والريفية والتي غالباً ما يواجه أطفالها صعوبات في تعلّم القراءة بالنظر إلى اقتصار الموارد لمتاحة لهم على ألواح كتابة باهتة اللون ودفاتر ممزقة. ومن المهم أيضاً إقناع الحكومات المتخلفة عن الركب في تحقيق أهداف داكار بحلول عام ٢٠١٥ (وما بعده) بتخصيص قدر أكبر من مواردها البشرية والمالية لدعم قطاع إنتاج الكتب ولتطوير تكنولوجيات المعلومات والاتصالات التي تتيح تعزيز الانتفاع بالتعليم عن بُعد وبالموارد التعليمية المفتوحة والبرمجيات الحرة والمفتوحة المصدر.

---

١٥ انظر أيضاً

UNESCO, Addressing Exclusion: A Guide to Assessing Education Systems Towards More Inclusive and Just Societies (Paris: UNESCO, 2012)

١٦ الفقرة ٣ (أ) من المادة ٢٤ من اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (٢٠٠٦).

١٧ ينطبق ذلك على العراق حيث أتاح «برنامج اليونسكو لتحسين نوعية الكتب المدرسية» (٢٠٠٣-٢٠٠٥) تنقيح ٨,٧ مليون كتاب مدرسي وطباعتها وتوزيعها على أساس عاجل.

وتُعد مشاركة اليونسكو في مبادرات جديدة واعدة ترمي إلى زيادة الانتفاع بالتكنولوجيات السريعة، ومنها مبادرات لجنة النطاق العريض المعنية بالتنمية الرقمية، عاملاً أساسياً في سد الفجوة الرقمية واستخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات على أتم وجه في مجال التعليم. وعلى سبيل المثال، نُشر خلال الاجتماع الذي عُقد لاستعراض نتائج مؤتمر القمة العالمي لمجتمع المعلومات بعد مضي عشر سنوات على انعقاده (شباط/فبراير ٢٠١٣) تقرير[١٨] دعي فيه راسمو السياسات إلى المساعدة على ضمان الانتفاع المنصف بتكنولوجيات المعلومات والاتصالات لتمكين الطلبة، أينما وجدوا، من استخدام الموارد المتاحة على الإنترنت، مما يتيح تحسين تعلّمهم وتعزيز احتمالات حصولهم على عمل.

(٢) دعم الجهود المبذولة لبناء قدرات دور النشر الوطنية والمحلية على توفير الكتب المدرسية ومواد القراءة بسعر معقول

تبيّن الاتجاهات التي تشهدها بلدان عديدة في مجال إنتاج الكتب المدرسية وتوزيعها أنه يجري الانتقال من نظم تابعة للدولة تُدار بصورة مركزية إلى ترتيبات للنشر والتوزيع تتسم بدرجة أكبر من اللامركزية. فعلى سبيل المثال، تُتاح للمدارس والمعلمين في بعض الحالات إمكانية اختيار كتب من بين عدة مؤلفات صادرة عن دور نشر خاصة وتحظى بموافقة السلطات المعنية. وبعد شراء الكتب من دار النشر، يتم وضعها في متناول الطلبة بسعر منخفض أو يجري تأجيرها أو إعارتها لهم مجاناً. وتجدر الإشارة بوجه عام إلى أن الاتجاه نحو اعتماد مبدأ اللامركزية في قطاع إنتاج الكتب لم يسهم فقط في ازدياد مواد القراءة المتاحة في بيئات التعلّم الناشئة، بل أتاح أيضاً إنتاج مواد تعليمية أكثر فعاليةً وجاذبيةً[١٩]، يمكن استخدامها في المدارس ومراكز التعلّم على حد سواء.

ومع ذلك، لا يزال ثمة تحديات كبيرة ينبغي التصدي لها، ولا سيما فيما يتعلق بالحرص على أن تصل المواد التعليمية إلى وجهاتها وأن تكون متاحة بسعر معقول وأن تُستخدم على أتم وجه. وأدت القرارات التي اتخذتها بعض الجهات المانحة والحكومات وقضت بحصر عملية إنتاج الكتب بدور النشر التابعة للدولة وباستيراد الكتب المدرسية ومواد القراءة المخصصة للأطفال من أوروبا أو أمريكا الشمالية إلى حرمان دور النشر المحلية من الأسواق التي يمكن أن تدرّ لها أكبر قدر من الإيرادات[٢٠]. وبالتالي، يرمي الدعم الذي توفره اليونسكو في هذا المجال إلى تشجيع جميع الجهات الفاعلة على التعاون لتعبئة الإرادة السياسية اللازمة وتأمين التمويل لقطاع إنتاج الكتب بطرائق من شأنها أن تسهم في ازدهار دور النشر القائمة في البلدان النامية. كما تميل النظم ذات الإدارة اللامركزية إلى تعزيز إنتاج مواد التعلّم التي تلبي احتياجات مجموعة متنوعة من الدارسين، بمن فيهم الدارسون ذوو الاحتياجات الخاصة. وإضافةً إلى ذلك، فإن تقليص عدد النسخ المطبوعة يتيح إنتاج مواد ملاءمة جداً للسياق المحلي وللثقافة والشواغل المحلية. ويقدّم ذلك أيضاً إلى مستخدمي مواد التعلّم فرصاً جديدة لإطلاق العنان لقدراتهم الإبداعية. فإحدى النتائج الإيجابية للإدارة اللامركزية هي أنها تضمن توافر مجموعة أكبر وأكثر تنوعاً من مؤلفي الكتب المدرسية والراسمين ومؤلفي موارد التعلّم الأخرى من ذوي المهارات، مما يفضي في نهاية المطاف إلى ازدياد الخيارات المتاحة للمدارس والمجتمعات المحلية.

---

١٨ Technology, Broadband and Education: Advancing the Education for All Agenda. Paris: UNESCO and International Telecommunication Union (ITU), 2013

١٩ Montagnes, Ian. Paper presented at the World Education Forum, Dakar Senegal. In Thematic Studies: Textbooks and Learning Materials, 1990-1999, Paris: UNESCO, 2001

٢٠ Walker, Scott. "Promoting Chidren's Book Publishing in Anglophone Africa," in V. Greaney, ed. Promoting Reading in Developing Countries. Washington, D.C.: World Bank, 1996, pp. 130-147

٣ - استراتيجيتان لضمان الجودة

(١) التشجيع على اعتماد نهوج تتمحور حول الدارسين ومنهجيات خاصة بالتعلّم النشط، وعلى الارتقاء بالمهارات المعرفية للدارسين

بغض النظر عما إذا كانت الكتب المدرسية الموارد الرئيسية المستخدمة للتعليم والتعلّم في أي مستوى من المستويات التعليمية أم لا، فإن مضامينها وتصاميمها يمكن أن تؤثر تأثيراً كبيراً في طريقة تنفيذ المنهج الدراسي وطريقة إعداد الدارسين لمستويات التعليم العليا. وفي الحالات المحددة التي يتعذر فيها على المعلمين الانتفاع بفرص تدريبية قبل الخدمة أو في أثنائها، غالباً ما تُستخدم الكتب المدرسية وأدلة المعلمين المرافقة لها (إن وجدت) كأساس لإعداد خطة التدريس.

وتجري الاستعاضة شيئاً فشيئاً عن الكتب التي يقتصر مضمونها على نصوص يليها وابل من الأسئلة العامة بكتب أكثر جاذبية للنظر وذات تصاميم متنوعة ترمي إلى إثارة فضول القراء وحفزهم على الغوص في عالم المعلومات والأفكار. وتفيد مجموعة من المبادئ التوجيهية أعدها فريق دولي يضم باحثين ومؤلفين وناشرين معنيين بالكتب المدرسية بأن مواد التعلّم يجب أن «تعكس ممارسات تعليم وتعلّم تتمحور حول الدارسين وتقوم على المشاركة وتركز على العمل، مثل الأنشطة المخصصة لتحديد العلاقات المفاهيمية، والتعلّم التفاعلي، والتعلّم بالتجربة، والتعليم القائم على حل المشكلات، وعمليات التأمل التي تدفع بالدارسين إلى التفكير بحس نقدي في جميع الموضوعات»[٢١]. ويمكن للمؤلفين والمصممين والراسمين والمبرمجين الذين يضعون هذه المبادئ التعليمية في الحسبان أن ينتجوا موارد تحفز الدارسين إلى حد كبير وتتسم بدرجة عالية من الفعالية. وإلى جانب ذلك، فإن مشروعات المطبوعات التي يشارك المعلمون والدارسون في مختلف مراحلها من شأنها أن تراعي على نحو أفضل اهتمامات المستخدمين وتجاربهم في الحياة وخياراتهم المفضلة في مجال التعلّم. وسعياً إلى دعم هذا النوع من المبادرات، تواصل اليونسكو التشجيع على إدراج ممارسات التعليم والتعلّم الجيدة في الكتب المدرسية وموارد التعلّم لإشراك الدارسين على نحو فعال وتمكين المعلمين من مساعدة الطلبة على الارتقاء بمهاراتهم المعرفية.

وبغية تحقيق الهدف المتمثل في تأمين التعليم الجيد للجميع وضمان التعلّم مدى الحياة، تعتزم اليونسكو أيضاً جمع ونشر نتائج البحوث المتعلقة بإعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم كي يتسنى إنتاج مواد ملاءمة واستيعابية ومراعية لاحتياجات المعلمين تيسّر التعلّم النشط والمفيد وتتيح تنمية المهارات اللازمة للتعاطي مع تحديات القرن الحادي والعشرين.

(٢) تشجيع الجهود المبذولة للاستفادة من المعارف والمهارات والمواد الخاصة بالسكان المحليين والأصليين بوصفها موارد مفيدة تساعد على تحقيق أهداف المناهج الدراسية

ينص «إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية» (٢٠٠٧) على أن «للشعوب الأصلية الحق في إقامة نظمها ومؤسساتها التعليمية والسيطرة عليها وتوفير التعليم بلغاتها، بما يتلاءم مع أساليبها الثقافية للتعليم والتعلّم»[٢٢]. وتحتل اليونسكو بحكم دورها في صون وتعزيز التنوع الثقافي واللغوي مكانة فريدة لدعم عملية إعداد وإقرار مواد التعلّم الخاصة بالسكان المحليين وغيرها من المواد المنتجة محلياً. والغرض من ذلك هو دعم المبادرات التعليمية التي يجري تنفيذها في المجتمعات المحلية وتشجيع الاستفادة من نظم المعارف التقليدية عبر الحدود الإثنية والوطنية.

---

٢١ UNESCO Guidelines for Enhancing Learning through Textbooks and Learning Resources (Paris: 2013) 9

٢٢ الفقرة ١ من المادة ١٤.

وبرزت خلال العقد الماضي أدوات وأمثلة جديرة بالذكر تساعد على توجيه السياسات والأنشطة المتعلقة بالسكان المحليين والأصليين، ومن بينها الوثيقة المعنونة The Challenge of Indigenous Education: Practice and Perspectives (تحدي التعليم لدى السكان الأصليين: الممارسات والأفق)[٢٣]، وبرنامج نظم المعارف المحلية ومعارف السكان الأصليين (LINKS)[٢٤]. ومن شأن سياسات التعليم الجامع التي تعزيز لغات السكان الأصليين وثقافاتهم أن يكون لها تأثير إضافي هو تحسين جودة التعلّم لصالح الجميع[٢٥].

وبالنظر إلى اندثار اللغات بمعدل مثير للقلق[٢٦] وما يقترن بهذه الظاهرة من خسائر على صعيد المعارف المحلية ومعارف السكان الأصليين، ستستمر اليونسكو في تعزيز دور موارد التعلّم، سواء أكانت تقليدية أم حديثة، في حماية التنوع اللغوي والثقافي من أي نزعة تسعى إلى إلغاء التنوع في العالم، وستبقى تشجع على توفير مواد جيدة تلبي احتياجات جميع الدارسين.

٤ – استراتيجيتان لضمان فعالية الكتب المدرسية وموارد التعلّم بوصفها أدوات لبناء السلام وتحقيق المواطَنة العالمية

(١) المساعدة على رسم سياسات إقليمية ووطنية تعزز السلام والمساواة بين الجنسين والتنمية المستدامة في الكتب المدرسية وموارد التعلّم ومن خلالها

إن الحاجة إلى اعتماد أساليب تعليمية تساعد على بناء ثقافة عالمية للسلام تصبح أكثر إلحاحاً في الفترات التي تشهد انعداماً في الاستقرار الاقتصادي واضطرابات سياسية. وفقاً للباحثين المختصين بالكتب المدرسية نومان وجانسِن وفرانكي (٢٠٠٦)، «يجب أن تركز عمليات إنتاج وتقييم وتحليل الكتب المدرسية تركيزاً متزايداً على أوجه الترابط القائمة بين مختلف أجزاء العالم وأن تراعي الفكرة التي تفيد بأن البشرية لا يمكن أن تستمر حاضراً ومستقبلاً إلا إذا بقيت وحدة متكاملة العناصر»[٢٧]. ومع ذلك، لا يزال ثمة تحديات كبيرة ينبغي التصدي لها، ومنها تعاظم أوجه التفاوت والهجرة الجماعية وتغير المناخ والنزاعات المسلحة، التي تهدد الرؤية الداعية إلى بناء عالم مستدام ينعم بالسلام.

ويقضي تطبيق الرسالة الأساسية لليونسكو المتمثلة في «بناء حصون السلام في عقول الرجال والنساء» على الاستراتيجيات الخاصة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم للقرن الحادي والعشرين بتنمية المهارات والمواقف والقيم التي يشملها مفهوم «تعلّم العيش معاً»[٢٨]. ويرتكز هذا المفهوم المتعدد الأبعاد الخاص بعملية بناء السلام[٢٩] على تعريف لكلمة «السلام» لا يقتصر على غياب الحرب أو أعمال العنف، بل يشمل أيضاً فكرة «السلام الإيجابي»[٣٠]

---

٢٣ Linda King and Sabine Schielmann. (Paris: UNESCO, 2004)

٢٤ يوفر هذا البرنامج ضمن سلسلة من الأنشطة دورات تدريبية هدفها بناء القدرات المحلية على نقل المعارف، ولا سيما على استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات لتسجيل المعارف وإدارتها ونقلها.

٢٥ من الأمثلة على ذلك، المشروع البحثي الشامل الممتد على عدة سنوات والمعروف باسم «تي كوتاهيتانغا»(Te Kotahitanga) ، وهو مشروع تنفذه حكومة نيوزيلندا بالتعاون مع جامعة وايكاتو.

٢٦ تفيد صحيفة وقائع صادرة عن الأمم المتحدة (٢٠٠٨) بأن ٦٠٠ لغة تقريباً اندثرت في القرن الماضي وأن لغات أخرى تندثر بواقع لغة واحدة كل أسبوعين. ومن المرجح أن يندثر ما يصل إلى ٩٠ في المائة من لغات العالم قبل نهاية القرن الحادي والعشرين إذا بقيت الاتجاهات الراهنة على حالها.

٢٧ الصفحة ١٣٧.

٢٨ وفقاً للتعريف الوارد في تقرير ديلور.

٢٩ تختلف عملية «بناء السلام» عن عمليتَي «حفظ السلام» و«صنع السلام» اللتين يقتصر الهدفان المرجوان منهما على تسوية النزاعات ومنع نشوب أعمال عنف جديدة.

٣٠ انظر Johan Galtung. Peace by Peaceful Means: Peace and Conflict, Development and Civilization. (London: Sage Publications, 1996)

الأوسع نطاقاً التي تعبّر عن الكرامة الأساسية للإنسان وعن احترام الحياة البشرية.

وتُعد المساواة بين الجنسين والتنمية المستدامة عنصرين طبيعيين وجوهريين من مفهوم «بناء السلام» وتمثلان بالتالي موضوعين شاملين تم تأكيد أهميتهما في إطار أنشطة اليونسكو المتعلقة بالكتب المدرسية وموارد التعلّم. وعلى سبيل المثال، إن الوثيقة المعنونة «Promoting Gender Equality through Textbooks: A Methodological Guide» (2006) (تعزيز المساواة بين الجنسين من خلال الكتب المدرسية: دليل منهجي) تقدّم إلى معدّي الكتب المدرسية والباحثين المختصين بها أدوات تتيح «تنقيح الكتب المدرسية أو استخدام الكتب المتوافرة بحس نقدي، سواء أكان ذلك في إطار العلاقة بين المعلمين والدارسين، أم بين الأفراد المشاركين في مختلف مراحل السلسلة الخاصة بالكتب المدرسية (بدءاً بتصميم الكتب وانتهاءً باستخدامها)، أم خارج البيئة المدرسية، في إطار الأسر والمجتمعات المحلية»، وذلك لتعزيز الوعي والحفز على اتخاذ ما هو مناسب من تدابير. ويسهم هذا النوع من هذه الأدوات التي تتوجه إلى المؤلفين والناشرين إسهاماً مباشراً في تطبيق اتفاقية الأمم المتحدة بشأن القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة التي تدعو إلى «القضاء على أي مفهوم نمطي عن دور الرجل ودور المرأة»[٣١] بوسائل عدة منها تنقيح الكتب المدرسية. وإلى جانب ذلك، فإن الأدلة التي تم إنتاجها حتى الآن في إطار عقد الأمم المتحدة للتعليم من أجل التنمية المستدامة (٢٠٠٥-٢٠١٤)، ومنها الوثيقة المتاحة على الإنترنت المعنونة «التعليم والتعلّم من أجل مستقبل مستدام»[٣٢]، تقدّم إرشادات إلى معدّي المناهج الدراسية ومؤلفي المواد التعليمية بشأن سبل إدراج موضوعات وقضايا رئيسية في مختلف المواد.

(٢) دعم المشاورات التي تُجرى على الصعيدين العالمي والإقليمي وفيما بين الجماعات الإثنية بشأن الكتب المدرسية وموارد التعلّم بغية مكافحة الصور النمطية السلبية وتشجيع تعدد وجهات النظر وتيسير الحوار بين الثقافات

جاء في الطبعة المنقحة والمحدثة من «دليل اليونسكو لإجراء البحوث بشأن الكتب المدرسية وتنقيحها»[٣٣] أن التوجه الأولي للأنشطة البرنامجية التي اضطلعت بها اليونسكو وشركاؤها بشأن الكتب المدرسية في السنوات الأولى التي تلت إنشاء المنظمة تمثل في وضع معايير خاصة بتأليف الكتب المدرسية وتنقيحها من أجل تعزيز التفاهم على الصعيد الدولي وبين الثقافات[٣٤]. واستناداً إلى خطة نموذجية أُعدت في أعقاب الدورة الأولى للمؤتمر العام التي عُقدت في عام ١٩٤٦، نظمت اليونسكو سلسلة من حلقات التدارس الثنائية والمتعددة الأطراف بغية تصحيح الأخطاء في الوقائع وأوجه الإغفال والرسائل المضللة التي تنتج عنها قوالب نمطية سلبية وصورة مشوهة «للآخر» في الكتب المدرسية ومواد التعلّم. ووضِعت فيما بعد عملية متعددة المراحل سُميت «المشاورة الدولية بشأن الكتب المدرسية»، وهي عملية كان يُدعى بَلدان أو أكثر ترتبط في غالب الأحيان بعلاقات إقليمية للمشاركة فيها من أجل القيام باستعراض متبادل للكتب المدرسية الخاصة بمواد معيّنة (في معظم الحالات، كانت المواد المعنية هي التاريخ والجغرافيا و/أو التربية المدنية في المستوى الثانوي). وكان الغرض من ذلك وضع مجموعة مشتركة من الأدوات التحليلية والتوصيات لتنقيح الكتب المدرسية وللتعاون في إعداد مواد جديدة، في نهاية المطاف.

وتمت مواصلة هذه العملية في السنوات الماضية ولكن جرى توسيع نطاقها الجغرافي وأُدرجت فيها مجموعة واسعة من المواد والمستويات والوسائط، وهو أمر كان يرمي جزئياً إلى مواكبة الحركة الدافعة نحو بناء

---

٣١ الفقرة (جـ) من المادة ١٠ من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لعام ١٩٧٩.

٣٢ حصة دراسية للتطوير المهني تشتمل على ٢٧ وحدة تدريبية، يمكن الاطلاع عليها على عنوان الإنترنت التالي:
http://www.unesco.org/education/tlsf/

٣٣ Pingel، مرجع سبقت الإشارة إليه.

٣٤ المرجع عينه، الصفحة ١١.

الكفاءات اللازمة لتحقيق المواطَنة العالمية في عالم «ترابطت أجزاؤه ثم انفصلت عن بعضها بعضاً حسب محاور جديدة»[٣٥]. ومع بروز وسائط جديدة بوصفها أدوات تعلّم، باتت أنشطة البحث المضطلع بها على الصعيد الدولي[٣٦] تغطي بوجه عام موارد التعلّم غير النصية مثل الموارد المتعددة الوسائط، والأفلام الوثائقية، والبرمجيات التفاعلية، وموارد التعلّم المتاحة على الإنترنت. وتقدّم المشاورات والمؤتمرات الدولية المتعلقة بالكتب المدرسية فائدة إضافية لأنها تجمع بين أكاديميين ومربين وناشرين آتين من بلدان يمكن أن تكون قد تنازعت فيما بينها لفترة طويلة أو بصورة متقطعة، ومن شأنها بالتالي أن تصبح في حد ذاتها مساحة لتحقيق المصالحة وبناء ثقافة سلام مستدامة[٣٧].

٣٥ Schissler, H. (2009) 'Navigating a Globalizing World: Thoughts on Textbook Analysis, Teaching and Learning'. Journal of Educational Media, Memory and Society v. 1 number 1 Spring, 2009

٣٦ مثل «مشروع الدراسة المقارنة للكتب المدرسية» (٢٠٠٣-٢٠١٠) الذي تتشارك في تنسيقه اللجنتان الوطنيتان الفرنسية والمغربية لدى اليونسكو، وذلك في إطار الحوار العربي الأوروبي.

٣٧ يتجلى ذلك في العنوان الذي اختير للمؤتمر الدولي التاسع للرابطة الدولية للبحوث في مجال الكتب المدرسية والوسائط التعليمية، أي «السلام وإرساء الديمقراطية والمصالحة في الكتب المدرسية والوسائط التعليمية». وتبادل المشاركون في هذا المؤتمر نتائج أنشطة بحثية اضطُلع بها في جميع أنحاء العالم.

رابعاً - أساليب العمل المقترحة

١- تجديد الحوار الدولي بشأن التدابير الرامية إلى ضمان جودة موارد التعلّم وإمكانية الانتفاع بها

بالنظر إلى تطوّر تعريف «الكتب المدرسية» و«مواد التعلّم» و«موارد التعلّم»، وإلى الدور المتغير لهذه المراجع في عمليتَي التعليم والتعلّم، سيتمثل هدف الأنشطة المزمع تنفيذها في المرحلة المقبلة في التوصل إلى توافق في الآراء بشأن تحديث المتطلبات المرتبطة بجودة الكتب ومواد وموارد التعلّم وسبل الانتفاع بها. وينبغي للمؤتمرات المقبلة، سواء أنُظمت على الصعيد العالمي أم الإقليمي أم الوطني، أن تشمل جميع الجهات الفاعلة في إطار السلسلة الخاصة بالكتب المدرسية، بدءاً براسمي السياسات والمؤلفين والباحثين والناشرين، وانتهاءً بالمعلمين والطلبة والآباء والدارسين. ويُعد إشراك جميع الجهات المعنية بتخطيط التعليم على الصعيد العالمي في مرحلة ما بعد عام ٢٠١٥ والتنسيق معها عاملين أساسيين في ضمان جدوى المؤتمرات المذكورة، شأنهما في ذلك شأن مشاركة جميع وحدات اليونسكو المعنية بإنتاج مواد تعلّم تركز على موضوعات معيّنة وتوزيعها.

ومن المرتقب تنظيم المؤتمرات بالتنسيق الوثيق مع الوكالات الشقيقة في منظومة الأمم المتحدة، والشبكات الإقليمية المختصة بالكتب المدرسية، ومعاهد البحث والرابطات المهنية المعنية، سعياً إلى وضع أطر مشتركة لرصد جودة جميع وسائل التعلّم، بما في ذلك الموارد التعليمية المفتوحة.

٢- زيادة أنشطة الترويج والتوعية المتعلقة بدور الكتب المدرسية وموارد التعلّم في تعزيز محو الأمية وتحسين التعلّم مدى الحياة

يحدث أحياناً في البلدان التي تتوافر فيها أعداد هائلة من الكتب والمجلات وغيرها من مواد القراءة أن يتم تجاهل الدور البالغ الأهمية الذي تؤديه الكتب المدرسية في تنمية المهارات الأساسية للقراءة والكتابة. وكي يستطيع الدارسون الاستفادة من هذه المهارات الأساسية وتنمية عادة القراءة مدى الحياة، ينبغي أن تُتاح لهم بصفة مستمرة إمكانية الانتفاع لا بالكتب المدرسية فحسب، بل أيضاً بمواد قراءة تكميلية ملاءمة ومثيرة للاهتمام. وتمثل الكتب والصحف والكتيّبات الإعلامية وغيرها من المواد المطبوعة باللغات المحلية والمجسدة للأعراف والثقافات والشواغل المحلية أدوات أساسية في بناء بيئات التعلّم وضمان استدامتها. ولكن القدرة على القراءة والكتابة ليست إلا نوعاً واحداً من أنواع الدراية (literacy). وبالنظر إلى تعدد المعاني التي يتخذها هذا المصطلح اليوم[٣٨]، فإن اليونسكو تعرّفه عامةً بأنه سلسلة متصلة من المهارات التي تمكّن الدارسين من بلوغ أهدافهم والمشاركة في المجتمعات التي ينتمون إليها مشاركة كاملة. ومع ظهور عصر المعلومات ومجتمعات المعرفة، باتت بعض القدرات والبنى الأساسية التقنية تمثل متطلبات أساسية لإتاحة مجموعة واسعة من الموارد. ولكن القدرة على اختيار هذه الموارد ومعالجتها واستخدامها بحس نقدي في سبيل توفير فرص للتعلّم الجيد تُعتبر امتداداً للدراية المتعلقة بالمطبوعات[٣٩].

٣٨ مثل «الدراية الرقمية» و«الدراية الإعلامية» و«الدراية الثقافية». وللاطلاع على معلومات حديثة عن أنواع الدراية التي تُعتبر ضرورية للحياة في القرن الحادي والعشرين، انظر البيان الصادر في هذا الصدد عن المجلس الوطني لمعلّمي اللغة الإنجليزية (NCTE)، على صفحة الإنترنت التالية: http://www.ncte.org/positions/statements/21stcentdefinition

٣٩ للاطلاع على مناقشة مستفيضة بشأن تعدد أنواع الدراية، انظر الوثيقة التوجيهية التي أعدها قطاع التربية في اليونسكو بشأن «تعدد أنواع الدراية وتأثيره على السياسات والبرامج»، على صفحة الإنترنت التالية: http://unesdoc.unesco.org/images/0013/001362/136246e.pdf

وينبغي استرعاء الانتباه إلى الدور البالغ الأهمية للكتب المدرسية ومواد القراءة التكميلية والمواد المتعددة الوسائط وغيرها من موارد التعلّم في ما يلي: (١) تعلّم القراءة؛ (٢) تنمية عادة القراءة؛ (٣) القراءة من أجل التعلّم والانتفاع بالمعلومات؛ (٤) القراءة من أجل المتعة والإثراء الذاتي. وتعزز أنشطة الترويج والتوعية المتعلقة بهذا العامل الذي غالباً ما يتم تجاهله المبدأين التوأم المتمثلين في الجودة والانتفاع في جميع مستويات التعليم، وتسلط في الوقت عينه الضوء على ضرورة دعم دور النشر الوطنية والمحلية وبناء البنى الأساسية اللازمة لتعزيز الانتفاع السريع بخدمات شبكة الإنترنت العريضة النطاق.

وفي مجالَي التعليم الأساسي النظامي والتعلّم مدى الحياة، تعتزم اليونسكو الترويج بشدة لضرورة إعداد سياسات خاصة بالكتب المدرسية على الصعيد الوطني وعلى صعيد الولايات والمقاطعات، تقضي بتوزيع كتاب واحد على كل دارس في إطار كل مادة، وذلك طيلة دورة التعلّم أو الحصة الدراسية أو السنة الدراسية. وفي الوقت عينه، تقوم اليونسكو مع شركائها المعنيين بمحو الأمية بإنشاء وحفظ مكتبات مدرسية ومجتمعية تحتوي على مواد قراءة ملاءمة للمنهج الدراسي وكفيلة بتلبية احتياجات التعلّم على صعيد المجتمع المحلي.

٣- اتخاذ تدابير محددة الهدف لدعم الجهود المبذولة على الصعيد الوطني والإقليمي والأقاليمي من أجل تعزيز السلام والمواطَنة العالمية والمساواة بين الجنسين والتنمية المستدامة من خلال الكتب المدرسية وموارد التعلّم

من المؤكد أن التوجه العام نحو تأمين التعليم الجيد للجميع وضمان التعلّم مدى الحياة سيبقى يحظى بمكانة عالية ضمن أولويات اليونسكو. وبوجه أعم، إن الفكرة التي تفيد بأن التربية ترمي إلى «إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وتعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية، وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية»، مثلما ينص عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨)[٤٠]، ستظل تمثل مبدأ توجيهياً.

وبالنظر إلى الأعمال التي تنفذها اليونسكو منذ زمن طويل في مجال استعراض الكتب المدرسية وتنقيحها، يمكن تقديم المساعدة عن طريق دعم المشاورات الدولية التي تنظَّم لتحديد المشكلات واعتماد الحلول المناسبة لها وضمان تنفيذ التدابير المتفق عليها. وما زال النموذج المحدد لتبادل التحليلات والتعاون في أعمال التنقيح على الصعيدين الإقليمي والأقاليمي يُستخدم حتى الآن، كلما كان ذلك مناسباً، بوصفه نقطة انطلاق للاضطلاع بأنشطة توعية ولوضع مبادئ توجيهية عملية تحظى بموافقة الجميع وتتوجه إلى المخططين والمؤلفين والمحررين.

وفيما يخص الأنشطة البحثية التي تفضي إلى تنقيح الكتب المدرسية في إطار نظام وطني أو محلي[٤١]، يُقترح اعتماد نموذج البحوث التشاركية الذي يشجَّع بمقتضاه مستخدمو المواد، بمن فيهم الدارسون والآباء وغيرهم من أعضاء المجتمعات المحلية، على تحديد المشكلات ومناقشة الخيارات المتاحة وتقديم توصيات بناءة لتنقيح المواد المتوافرة أو لإعداد مواد جديدة. وبغية تنفيذ الاستراتيجية (٢) المذكورة أعلاه والرامية إلى ضمان الجودة، تدعم اليونسكو التدابير الهادفة إلى إجراء وتبادل دراسات إثنوغرافية بشأن نظم المعارف التقليدية ووسائل التعلّم المرتبطة بها التي يستخدمها السكان الأصليون والأقليات، بما في ذلك رواية القصص والرقص والمسرح والفنون البصرية.

٤٠ الفقرة ٢ من المادة ٢٦ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٤١ يشكل ذلك في غالب الأحيان جزءاً من عملية شاملة ترمي إلى تحديث المنهج الدراسي و/أو إصلاحه.

٤- توفير دورات تدريبية وأنشطة لبناء القدرات مراعية لاحتياجات المستفيدين، تتناول جميع جوانب عملية إعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم

مع أن العلاقة بين توافر القدر الكافي من الموارد في بيئة التعلّم ونجاح الدارسين ما زالت حتماً قوية في جميع السياقات، فإن قوة هذه العلاقة تزداد بوجه خاص في البيئات التي لا يُتاح فيها إلا انتفاع محدود بالكتب وتكنولوجيات المعلومات خارج إطار المدرسة أو مركز التعلّم التابع للمجتمع المحلي. وعلى الرغم من التقدّم الكبير الذي أُحرز في هذا الصدد، لا يزال يتعين على الحكومات أن تعزز قدراتها على إعداد مناهج دراسية ملائمة وتوفير مواد تعلّم جيدة ترتكز على مجموعة متنوعة من الوسائط.

وعلى الصعيد الإقليمي والأقاليمي والقطري، تعتزم اليونسكو مواصلة وتعزيز تعاونها مع السلطات المعنية بغية التخطيط لحلقات عمل تقنية استناداً إلى القدرات المتوافرة واحتياجات التدريب الفعلية. ويُزمع تصميم حلقات العمل هذه باستخدام أدوات مثل «مبادئ اليونسكو التوجيهية لتعزيز التعلّم من خلال الكتب المدرسية وموارد التعلّم»_و«الأداة التدريبية الخاصة بالمؤلفين»[٤٢] من أجل تعزيز المهارات والبنى الأساسية في جميع المستويات التي تشتمل عليها أي سلسلة عادية لإعداد الكتب المدرسية (انظر الشكل في الصفحة ٢٧).

٥- تحديث منابر النقاش وتوسيع نطاق قنوات الاتصال لتبادل نتائج البحوث والموارد والممارسات الجيدة والحلول الابتكارية

بغية المساعدة على سد الفجوة بين النظرية والتطبيق، تعتزم اليونسكو استخدام مجموعة متنوعة من الوسائل لتوسيع نطاق تأثيرها في مجال إعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم. ويُتوقع أن تشمل وسائل تبادل المعلومات موقعاً شبكياً متخصصاً، وجماعة ممارسين تصدِر مدونات بانتظام وتوفر منتديات للنقاش، فضلاً عن نشرة إعلامية إلكترونية متعددة اللغات تتوجه إلى الباحثين والمعلمين ومؤلفي الكتب المدرسية والناشرين ومخططي المناهج الدراسية. وإضافةً إلى ذلك، تزمع اليونسكو[٤٣] على وجه التحديد مواصلة شراكاتها الرئيسية مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف)، والشراكة العالمية من أجل التعليم، ومعهد جورج ايكرت للبحوث الدولية بشأن الكتب المدرسية، والرابطة الدولية للبحوث في مجال الكتب المدرسية والوسائط التعليمية، ورابطة تطوير التعليم في أفريقيا، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، ومركز آسيا والمحيط الهادي للتربية من أجل التفاهم الدولي، ومجلس أوروبا، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، وغير ذلك من الشركاء[٤٤]، من أجل جمع المعلومات الجديدة وأفضل الممارسات وتبادلها من خلال الشبكات الواسعة والمؤتمرات والمطبوعات الخاصة بالشركاء المعنيين.

---

٤٢ من ضمن العناصر الأخرى التي تشملها «مجموعة الأدوات الرامية إلى تنقيح وتكييف المناهج الدراسية والكتب المدرسية وغيرها من مواد التعلّم لضمان خلوها من الصور النمطية المتعلقة بالثقافة والدين والجنسين».

٤٣ وذلك أيضاً بالتعاون مع الهيئات التالية ومن خلالها: مكتب التربية الدولي لليونسكو، ومعهد اليونسكو للتعلّم مدى الحياة، ومعهد اليونسكو للإحصاء.

٤٤ ترد في الجزء السابع قائمة كاملة بالشركاء المعنيين.

الشكل ٣: العملية النموذجية لإعداد الكتب المدرسية وموارد التعلّم

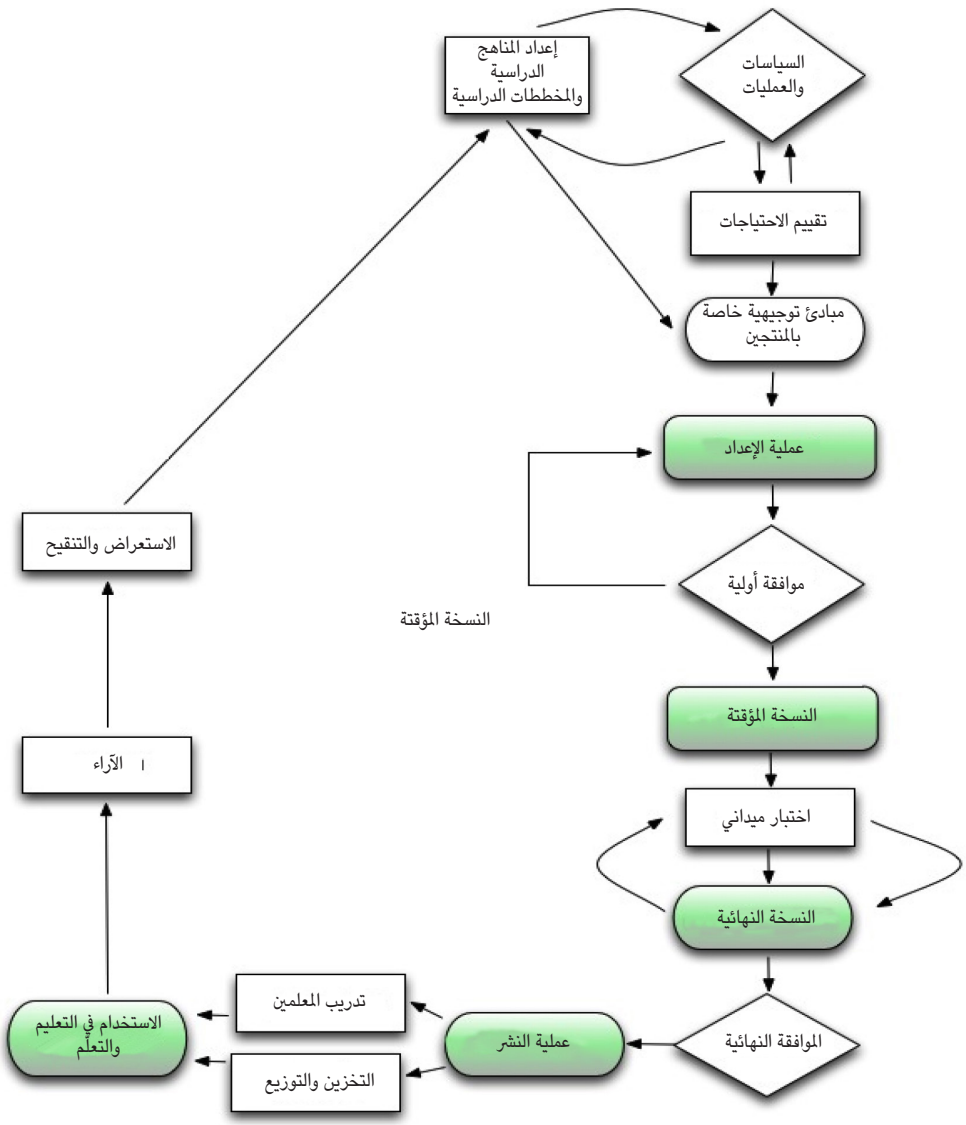

أُعد هذا الشكل استناداً إلى المرجع التالي: Askerud (1997), p. 44

خامساً - الأولويات

«قمت بزيارات إلى مناطق دمرتها الحروب والكوارث. وفي كل هذه الزيارات تقريباً، كان نداء الناجين واحداً: «التعليم أولاً». فالتعليم يساعد على منح الأطفال ممن تعرضوا لصدمة نفسية شعوراً بعودة الحياة إلى طبيعتها، والتعليم يمهد الطريق لتحقيق الاستقرار الدائم.

ولا بد من أن نستجيب لهذا النداء المشروع. فلا يسعنا أن نهدر مواهب جيل من الأطفال. وعلينا أن نوفر بيئات تعلّم آمنة وكتباً مدرسية ودعماً للآباء ووسائل نقل إلى المدرسة وتدريباً للمعلمين».

بان كي مون

على الرغم من أوجه التقدّم العديدة التي أحرزتها جميع نظم التعليم في العالم نحو توفير التعليم الجيد للجميع، أصبح واضحاً أن هذا الهدف لا يزال صعب المنال. ففي بعض المناطق، ولا سيما تلك التي تعاني بشدة من ارتفاع عدد السكان والفقر والنزاعات الطويلة الأجل، أدت الظروف الصعبة إلى توقف التقدم أو إلى عكس اتجاهه. وتشير البيانات إلى أن ٦١ مليون طفل من أطفال العالم كانوا غير ملتحقين بالمدرسة في عام ٢٠١٢ وأن ما يقارب نصف عدد الأطفال الملتحقين بالتعليم يتسربون من المدارس قبل إتمام مرحلة التعليم الابتدائي[٤٥]. وإضافةً إلى ذلك، لا تحمل عمليات قياس جودة التعلّم أي إشارات مشجعة. فثمة دراسات حديثة تظهر أن ٢٠٠ مليون شخص على الأقل من الأشخاص الملتحقين بالتعليم يعجزون عن القراءة حتى بعد قضاء عدة سنوات في التعليم المدرسي. ومع أن معدلات محو الأمية تحسنت بوجه عام في بعض البلدان، فإن «مسائل ارتفاع عدد السكان، وبلوغ الشباب الأميين سن الرشد، وتهميش النساء والفتيات، ستبقى تعرقل التقدم في بلدان أخرى»[٤٦].

وريثما يتم اعتماد جدول أعمال متين ويحظى بتنسيق جيد لتوفير التعليم للجميع في مرحلة ما بعد عام ٢٠١٥، وهو جدول أعمال سيرتبط تنفيذه ارتباطاً وثيقاً بتنفيذ المبادرة العالمية للأمين العام للأمم المتحدة بشأن «التعليم أولاً»[٤٧]، حدد الأمين العام في هذه المبادرة الممتدة على خمس سنوات والتي استهلها في عام ٢٠١٣ الأولويات الثلاث التالية:

- زيادة فرص الانتفاع بالتعليم؛
- تحسين جودة التعلّم؛
- تعزيز المواطَنة العالمية.

٤٥ معهد اليونسكو للإحصاء، ٢٠١٢.

٤٦ للحصول على معلومات مفصلة عن هذا الموضوع، انظر UIS (2012), Adult and Youth Literacy: Analysis of data for 41 Selected Countries، على صفحة الإنترنت التالية: http://www.uis.unesco.org/literacy/Documents/UIS-literacy-statistics-1990-2015-en.pdf

٤٧ مبادرة الأمين العام للأمم المتحدة بشأن «التعليم أولًا». نيويورك، الأمم المتحدة، ٢٠١٢: http://www.globaleducationfirst.org/index.html.

وبالنظر إلى الترابط الطبيعي بين أولويات مبادرة «التعليم أولاً» والمبادئ الرئيسية الثلاثة التي ترتكز عليها هذه الوثيقة التوجيهية، فإن التوجهات الراهنة والمقبلة فيما يتعلق بالكتب المدرسية وموارد التعلّم تبرِز الدروس المستخلصة من تجارب الماضي. ولكن هذه الأولويات تستلزم أيضاً تحليلات أوسع نطاقاً ونهوجاً أكثر شمولاً في ظل التحديات والفرص القائمة في العالم اليوم. ولا بد بالتالي لراسمي السياسات العاملين على جميع المستويات من أن يستخلصوا دروساً من الماضي وأن يتطلعوا إلى المستقبل مع مراعاة الأولويات التالية:

١- توفير كتب مدرسية وموارد تعلّم جيدة بأعداد كبيرة وعلى نحو مستمر، وتوزيعها توزيعاً منصفاً في المناطق الأشد احتياجاً إليها

إن المناطق التي تحظى بالأولوية في إطار التدابير الرامية إلى ضمان الانتفاع المنصف بالكتب المدرسية وموارد التعلّم هي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى التي يعيش فيها نصف عدد أطفال العالم غير الملتحقين بالمدارس، ومنطقة جنوب وغرب آسيا التي تحقق أداء ضعيفاً من حيث نسب القيد وتسجل معدلات متدنية للغاية في مجال محو أمية الفتيات والنساء. وفي حالات الطوارئ التي تكون فيها وتيرة طلبات المساعدة أعلى بكثير من وتيرة الأعمال الهادفة إلى إنشاء نظام توزيع جديد أو إعادة بناء النظام السابق، ينبغي إعطاء الأولوية لضرورة توفير مواد للتعليم والتعلّم فوراً، وذلك بالترابط مع التدابير المتخذة لدعم عمليات التعليم والتعلّم والمناهج الدراسية القائمة أو التي تم وضعها على وجه السرعة في حالة الطوارئ[٤٨].

٢- استخدام جميع وسائل التعلّم بمزيد من الفعالية بوصفها أدوات متعددة الوسائط تثير اهتمام الدارسين وتضمن جودة التعلّم

يتعين توسيع نطاق مجموعة الوسائل المستخدمة للتعليم كي تشمل الموارد المطبوعة والإلكترونية والموارد المتاحة على الإنترنت من أجل تزويد الدارسين بالمعارف والمهارات التي يحتاجون إليها في حياتهم الشخصية والمهنية في القرن الحادي والعشرين. وفي مجال المساعدة الرامية إلى تحسين الجودة، تتمثل الأولويات القصوى في النظم التي تفتقر إلى القدر الكافي من الموارد، والفئات التي يصعب الوصول إليها، والمدارس التي تكون فيها معدلات الرسوب والتسرب مرتفعة بصورة غير طبيعية.

٣- التركيز على الكفاءات الأساسية المتعلقة بالمواطَنة العالمية

يجب التشديد على أهمية بناء السلام والمساواة بين الجنسين والتنمية المستدامة والموضوعات المتصلة بها في سبيل تعزيز الاحترام المتبادل بين الشعوب ذات المعتقدات الدينية ووجهات النظر وأساليب العيش المختلفة. وفيما يخص الأنشطة البرنامجية المرتبطة بتنقيح الكتب المدرسية، فينبغي تنفيذها على سبيل الأولوية في البلدان والمناطق التي توجد في مراحل مختلفة من عملية الإنعاش بعد أوضاع النزاع، مع التركيز على عمليات تحليل واستعراض وتنقيح الكتب المدرسية وموارد التعلّم، بوصفها فرصاً لتحقيق المصالحة وإرساء السلام الدائم.

---

٤٨ للاطلاع على توجيهات بشأن طرائق اختيار وتوزيع واستخدام مواد التعليم والتعلّم في حالات النزاعات، انظر مجموعة الأدوات التي صدرت في هذا الصدد عن الشبكة المشتركة لوكالات التعليم في حالات الطوارئ: http://toolkit.ineesite.org/toolkit/Toolkit

سادساً - القضايا والتحديات

١- مقاومة التغيير

إن مهمة توفير كتب مدرسية وموارد تعلّم عالية الجودة لتمكين الجميع من الانتفاع بالتعليم الجيد والجامع هي مهمة تنطوي على صعوبات وتستهلك الكثير من الوقت حتى في أفضل الظروف. ومثلما هو الحال في إطار إعداد المناهج الدراسية، فإن عمليات إنتاج وتوزيع واستخدام مواد كفيلة بمساعدة المعلمين وحث الدارسين على المشاركة بصورة نشطة تتسم بطابع دينامي، لا استاتي، وينبغي استعراضها وتحسينها بانتظام. وباتت الحاجة إلى أن تواكب هذه العمليات الابتكارات المستجدة في الأساليب والوسائل وعمليات التقييم والنتائج المرتبطة بالتعليم والتعلّم، وأن تتكيف معها بمزيد من السرعة والمرونة، أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى.

وكي يتسنى إحداث تغيير مفيد وبنّاء، لا بد من التعاطي مع الأفكار والنهوج الجديدة بانفتاح وقبول الابتكارات المستجدة على جميع المستويات، بما في ذلك الابتكارات التي يستهلها المعلمون والآباء والمجتمعات المحلية. ويستلزم هذا التغيير أيضاً توافر نظام يعمل بسلاسة لإدارة عمليات الإنتاج والاختيار والاستعراض، فضلاً عن آلية فعالة للتطوير المهني تمكّن المؤلفين والراسمين والمصممين والمحررين والمعلمين من إنتاج مواد وموارد عالية الجودة. وقد تنجم المقاومة التي يبديها أحياناً راسمو السياسات والمعلمون وغيرهم من الأشخاص المعنيين بالنظام التعليمي عن تشكيكهم في قدرة التكنولوجيات الجديدة على تأمين أساليب تعلّم تكون في أقل تقدير ذات جودة مماثلة لجودة الكتب المدرسية التقليدية التي تُستخدم بطرائق تقليدية. ولا يمكن التغلب على هذه المقاومة إلا مع مرور الوقت وباستخدام بيانات صحيحة ومقنعة مستمدة من البحوث من شأنها أن تساعد معدّي المناهج الدراسية ومخططيها على اختيار أفضل السبل لتحقيق توازن سليم بين الوسائل الجديدة والقديمة لضمان جودة التعلّم.

وتتمثل إحدى العقبات الأخرى التي تعوق الجهود الرامية إلى تحويل النظم المركزية الصارمة التي أُنشئت في البلدان النامية في حقبة ما بعد الاستعمار لتوفير الكتب المدرسية إلى نظم حديثة تتسم بقدرة أكبر على التكيف، في اعتماد البلدان النامية منذ زمن طويل على موارد وخبرات آتية من الخارج وتركيزها المفرط على الكتب المدرسية بوجه عام. فعلى سبيل المثال، عندما تُستورد كتب مدرسية من دار نشر دولي بعد إدخال تعديلات بسيطة عليها لتكييفها مع الاحتياجات والظروف المحلية، قد تمر عدة سنوات أو حتى عقود قبل أن ينفّذ البلد المعني أنشطة لبناء القدرات تتيح تأمين مواد معدة ومحدثة محلياً. ومن الشائع في هذه الحالات أن تشكل الكتب المدرسية الركيزة الأساسية لما يدرَّس في الحصص الدراسية، بل أن تصبح منهجاً دراسياً في حد ذاتها، الأمر الذي يعوق أو يلغي إمكانية تحكّم الجهات المحلية بما يتم تدريسه وبطرائق التعلّم.

٢- تضارب الأولويات الحكومية

توصى جميع البلدان بشدة بأن تعتمد سياسة محكمة التخطيط وقائمة على مبادئ تعليمية سليمة بشأن الكتب المدرسية وموارد التعلّم وأن تجعل هذه السياسة عنصراً رئيسياً من خططها الوطنية الرامية إلى تحقيق الأهداف المقرر بلوغها بحلول عام ٢٠١٥ وإلى التصدي للتحديات الجديدة التي قد تطرأ في مرحلة ما بعد عام ٢٠١٥.

فالكتب المدرسية التي يتم التخطيط لإنتاجها وتوزيعها من دون مراعاة مبدأ الاستدامة قد تتسم ظاهرياً بدرجة عالية من الجودة (طباعة بأربعة ألوان، رسوم لافتة للأنظار، ورق قوي عالي الجودة، أغلفة صلبة) ولكنها قد تكون غير ملائمة للمستوى المعرفي للدارسين أو لبيئتهم الثقافية وقد تنطوي أيضاً على تحيز قائم على نوع الجنس.

وقد يرتبط أحد العوائق الأخرى بالتوترات الناجمة عن تنازع الحكومة المركزية والسلطات المحلية للتحكم بالمضامين التعليمية. وقد يؤدي ذلك إلى شلّ أو تهميش أي مبادرات محلية واعدة يمكن أن تكون قد وضعت لإنتاج مواد بلغات السكان الأصليين ولإدراج المعارف التقليدية في المنهج الدراسي العام للدولة أو الأمة المعنية. ويمكن أن تترتب على السياسات التي تفرض رقابة صارمة على وسائل الإنتاج والطباعة عواقب اقتصادية. فعدم تمكّن دور النشر المحلية من المشاركة في إنتاج الكتب المدرسية وموارد التعلّم وتوزيعها يحد بصورة كبيرة من إمكانية إعداد الكتب ومواد القراءة وتوفيرها بصورة مستمرة للمجتمع ككل.

٣- النقص في القدرات وفي الموارد

لعل أكبر تحدٍ تواجهه البلدان التي تسعى إلى تحسين جودة الكتب المدرسية وموارد التعلّم وتعزيز الانتفاع بها هو افتقار القطاعين العام والخاص إلى القدرات اللازمة لتطوير سلسلة الإمداد وإدارتها وضمان استدامتها. فقد تؤدي عوامل مادية مثل الطرق غير الصالحة للاستعمال، وسوء الأحوال الجوية، وعدم توافر مرافق تخزين مناسبة، ووجود مسافات كبيرة بين المناطق، إلى عرقلة عمليتَي الإنتاج والتوزيع. وما قد يحد أيضاً من القدرات المتوافرة لإنتاج المواد وتوزيعها هو انعدام فرص الانتفاع بالمعدات واللوازم التقنية التي من شأنها أن تساعد في حل أخطر المشكلات، على الأقل. فعلى سبيل المثال، بات من المستحيل اليوم إصلاح الآلات القديمة الخاصة بالطباعة الأوفسيت التي قدِّمت منذ عقود إلى مرافق الإنتاج العامة في بعض أشد بلدان العالم فقراً، علماً بأنه توجد معدات طباعة أحدث وأكثر احتراماً للبيئة، يمكن نقلها بمزيد من السهولة مقارنةً بغيرها من المعدات.

وإضافةً إلى ذلك، يُعتبر النقص في فرص الانتفاع بتكنولوجيات المعلومات والاتصالات على نحو فعال في البلدان النامية عقبة يتعاظم حجمها باستمرار، تحول دون التوصل إلى حلول ابتكارية في مجال إنتاج وسائل التعلّم، وكذلك في مجال التعلّم. ويفيد تقرير صدر حديثاً عن فريق العمل المعني بالتعليم والتابع للجنة النطاق العريض المعنية بالتنمية الرقمية[٤٩] بأنه لا يتوافر في البلدان الأفريقية إلا حاسوب واحد لكل ١٥٠ طالباً وأن أقل من ٢٠ في المائة من الطلبة الأفريقيين ينتفعون بخدمات الإنترنت خارج إطار المدرسة. وتظهر البيانات في المقابل أن ٩٣ في المائة من الطلبة ينتفعون بالإنترنت في المدرسة، مع الإشارة إلى أنه في كوريا، يزيد معدل الانتفاع بخدمات الإنترنت في المنزل على معدل الانتفاع بهذه الخدمات في المدرسة. وما لم تُتخذ تدابير جدية لسد الفجوة الرقمية ولتمكين منتجي الكتب المدرسية والمعلمين والدارسين، حتى في أبعد مناطق العالم، من الانتفاع بالعدد الهائل والمتزايد من الموارد التعليمية المفتوحة المتاحة مجاناً، سيبقى الأمل في الوفاء بوعد توفير التعليم الجيد للجميع أملاً ضئيلاً.

٤٩ Technology, Broadband and Education: Enhancing the EFA Agenda. Paris: UNESCO and ITU, 2013

سابعاً - الشراكات

١- الشراكات مع وكالات أخرى تابعة للأمم المتحدة

تنشط وكالات أخرى تابعة للأمم المتحدة، منذ زمن طويل، في مساعدة الحكومات على إعداد المناهج الدراسية وتوفير الكتب المدرسية وغيرها من مواد التعلّم، وذلك في إطار عمليات الإغاثة الخاصة بحالات الطوارئ على وجه التحديد. وتشمل الوكالات المذكورة بوجه خاص اليونيسيف، ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ووكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا). وفي حين ركزت اليونيسيف حتى الآن تركيزاً خاصاً على تنقيح المناهج الدراسية والكتب المدرسية لمعالجة مسألتَي التحيز القائم على نوع الجنس ومنع العنف في فترات النزاع وبعدها، عمدت هيئة الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، التي أُنشئت في عام ٢٠١٠، إلى إنتاج مواد تدريبية ومجموعات أدوات لتعميم مراعاة قضايا الجنسين في المناهج الدراسية وبرامج محو الأمية. ونفّذ البنك الدولي أيضاً أنشطة تتعلق بتوفير الكتب المدرسية وتحسين جودتها، وستستمر اليونسكو في تدعيم شراكاتها مع هذه الوكالات عن طريق تحديد مجالات للتعاون المستمر فيما يخص تخطيط برامجها وتمويلها وتنفيذها.

٢- الشراكات مع الرابطات الدولية والشبكات والقطاع الخاص

ستقوم اليونسكو بتوطيد العلاقات التي تربطها حالياً بمنظمات ورابطات ومعاهد بحث دولية تعزز مبدأي السلام والمواطَنة العالمية من خلال التعليم، وستسعى إلى إقامة علاقات جديدة من هذا النوع. وتشمل هذه المنظمات والرابطات والمعاهد ما يلي، على سبيل المثال لا الحصر:

- المجلس الأمريكي للكتب المدرسية
- مكتب التربية العربي لدول الخليج (ABEGS)
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ALECSO)
- رابطة تطوير التعليم في أفريقيا (ADEA)
- مركز آسيا والمحيط الهادي للتربية من أجل التفاهم الدولي (APCEIU)
- مجلس أوروبا
- الرابطة الأوروبية لمعلّمي التاريخ (EUROCLIO)
- معهد جورج ايكرت للبحوث الدولية بشأن الكتب المدرسية (GEI)
- الرابطة الدولية للبحوث في مجال الكتب المدرسية والوسائط التعليمية (IARTEM)
- الرابطة الدولية للمطالعة (IRA)
- الشبكة الدولية للبحوث المتعلقة بتمثيل الجنسين في الكتب المدرسية (RIRRS)
- الاتحاد الدولي للاتصالات (ITU)
- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ISESCO)
- المعهد الكوري لتطوير التعليم (KEDI)

وسوف تنظر اليونسكو أيضاً في الإمكانات المتاحة لإنشاء شراكات جديدة ذات منفعة مشتركة مع دور نشر ومعدّي برمجيات وأي جهات أخرى مهتمة بالإسهام في المبادرات التي تضطلع بها المنظمة لتحسين الجودة. وأخيراً، ستضع اليونسكو «الأداة التدريبية الخاصة بالمؤلفين» و«المبادئ التوجيهية الدولية لتعزيز جودة التعليم من خلال الكتب المدرسية وموارد التعلّم» في متناول المعدّين العاملين في القطاع الخاص، الذين سيُدعون جميعهم إلى المشاركة في شبكات اليونسكو العالمية والإقليمية لتبادل المعلومات.

الملحق: لمحة تاريخية

سعى الأعضاء المؤسسون لليونسكو خلال فترة إعادة بناء أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية إلى الاستفادة من الأعمال التي اضطلعت بها عصبة الأمم عن طريق وضع مجموعة من المعايير لإعداد الكتب المدرسية وتنقيحها من أجل تعزيز التفاهم الدولي[٥٠]. وقامت اليونسكو أيضاً في فترة ما بعد الحرب بتنظيم سلسلة من حلقات التدارس للتوعية بموضوع تعدد مناطق وثقافات العالم، وهو موضوع كانت تعالجه الكتب المدرسية المستخدمة في البلدان الصناعية. ومع بداية الحرب الباردة وتنامي الانقسامات بين البلدان الصناعية والبلدان النامية، قررت اليونسكو مع شركائها التركيز بدرجة أكبر على إعداد استراتيجيات ومواد لتعزيز تعدد وجهات النظر[٥١]، وبخاصة في سياق تدريس مادة التاريخ. ويقضي هذا النهج بتقديم الأحداث التاريخية استناداً إلى وجهات نظر متعددة، الأمر الذي يحث الدارسين على التفكير بحس نقدي لتفسير هذه الأحداث بأنفسهم، مع مراعاة وجهة نظر «الآخر».

وتشجع اليونسكو بشدة، منذ عام ١٩٧٤، الأنشطة الهادفة إلى إجراء دراسات وعمليات تنقيح متبادلة للكتب المدرسية وغيرها من مواد التعلّم. وانبثق هذا النهج العام بصورة أساسية عن توصية قدّمها المؤتمر العام في دورته الثامنة عشرة ودعا فيها إلى مراعاة القيم العالمية المشتركة عند إعداد المواد التعليمية كافة ومراجعتها بغية ضمان «اتسامها بالدقة والتوازن والحداثة، وخلوها من ضروب التحيز، وقدرتها على تعزيز التعارف والتفاهم المتبادلين بين مختلف الشعوب»[٥٢]. وأفضت هذه الأنشطة إلى التوعية بضرورة اتّباع نهج أكثر شمولًا لتقديم القضايا الشائكة في الكتب المدرسية، مع احترام التفسيرات ووجهات النظر المحلية في الوقت عينه. وتم الإقرار، بحلول أواخر الثمانينات، بالحاجة إلى اعتماد نموذج يرتكز بدرجة أكبر على المشاركة في مجال البحوث المتعلقة بالكتب المدرسية، وذلك كي تُتاح المشاركة في هذه البحوث لا لمؤلفي المواد فحسب، بل لمستخدميها أيضاً. وتتميز هذه الأساليب بأنها تولي مسألتَي نقل المعارف ونقل المواقف والمهارات، ولا سيما تلك اللازمة من أجل «تعلّم العيش معاً»، القدر عينه من الأهمية.

وبالنظر إلى ازدياد الاضطرابات المدنية وتصاعد الإرهاب في العالم خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، أعطت اليونسكو من جديد درجة عالية من الأولوية لمسألة إعداد برامج تعليمية وثقافية ترمي إلى تعزيز التفاهم واحترام التنوع الثقافي. ودعا المؤتمر العام بموجب قرار اعتمده في دورته الحادية والثلاثين في عام ٢٠٠١ إلى تعزيز الحوار القائم على «وحدة الجنس البشري وقيمه المشتركة والاعتراف بتنوعه الثقافي وبتساوي الحضارات والثقافات في الكرامة»[٥٣]. وتماشياً مع الأغراض التي وضعها معدّو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في اعتبارهم عندما حددوا التوجه العام للتربية، والشواغل التي أعرب عنها المجتمع الدولي بشأن الكتب المدرسية خلال الدورة الأولى للمؤتمر العام، باتت وسائل التعلّم القديمة والجديدة تُعتبر أدوات لها دور بارز في مساعي بناء السلام وتحقيق المواطَنة العالمية.

---

٥٠ للمزيد من التفاصيل، انظر Pingel، مرجع سبقت الإشارة إليه، الصفحات من ١١ إلى ١٦.

٥١ للاطلاع على شرح مستفيض لهذا النهج، انظر

Stradling, Robert, Multiperspectivity in History Teaching: A Guide for Teachers Strasbourg: Council of Europe, 2003

٥٢ الدورة الثامنة عشرة للمؤتمر العام لليونسكو (١٩٧٤)، توصية بشأن التربية من أجل التفاهم والتعاون والسلام على الصعيد الدولي والتربية في مجال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية.

٥٣ القرار ٣١م/٣٩ الذي اعتُمد في الجلسة العامة الحادية عشرة في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١.

أمثلة على القرارات والتوصيات والإعلانات الرئيسية التي اعتمدتها اليونسكو بشأن الكتب المدرسية ومواد التعلّم

القرار ١م/٦: تحسين الكتب المدرسية والمواد التعليمية، ١٩٤٦

بغية تعزيز التفاهم الدولي وإزالة بعض أسباب سوء الفهم عن طريق تحسين الكتب المدرسية وغيرها من المواد التعليمية، يُزمع الاضطلاع بالأنشطة التالية خلال عام ١٩٤٧:

(١) وضع أسلوب نموذجي لتحليل الكتب المدرسية، وتحديد المبادئ التي تتيح للدول الأعضاء تحليل الكتب المدرسية والمواد التعليمية الخاصة بها؛

(٢) إعداد قائمة مشروحة بما أُبرم من اتفاقات ثنائية أو إقليمية لتنقيح الكتب المدرسية؛

(٣) توفير، في دار اليونسكو، نسخ من الكتب المدرسية التي تُستخدم عادةً في مختلف البلدان لتدريس مواد التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية وغيرها من المواد المتصلة بالتفاهم الدولي؛

(٤) تنظيم واستهلال دراسة تتناول طريقة معالجة موضوع التعاون الدولي في الكتب المدرسية المذكورة.

القرار ٦م/١,٣١١/١,٣١٦: تحسين الكتب المدرسية والمواد التعليمية، ١٩٥١

يؤذن للمدير العام بتشجيع الدول الأعضاء، في ضوء حلقات التدارس التي سبق تنظيمها بشأن هذا الموضوع، على تنقيح كتب التاريخ والجغرافيا الخاصة بها، ولا سيما في إطار اتفاقات ثنائية أو متعددة الأطراف.

الوثيقة ١٨م/قرارات، البند ٢٤ من جدول الأعمال: توصية بشأن التربية من أجل التفاهم والتعاون والسلام على الصعيد الدولي والتربية في مجال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ١٩٧٤

ينبغي للدول الأعضاء أن تضاعف جهودها لتيسير تجديد المعدات والمواد التعليمية اللازمة للتربية الدولية ولتعزيز إنتاجها ونشرها وتبادلها، على أن يراعى خاصة أن التلاميذ والطلبة في كثير من البلدان يتلقون معظم معلوماتهم عن الشؤون الدولية عن طريق وسائل الإعلام خارج المدرسة. ولكي تلبى احتياجات المعنيين بالتربية الدولية، ينبغي تركيز الجهود على سد النقص في المعينات التعليمية والعمل على تحسين نوعيتها.

القرار ٢٤م/١٣,١، الفقرة الفرعية ٢(جـ)(٥): السلام والتفاهم الدولي وحقوق الإنسان وحقوق الشعوب، ١٩٨٧

يدعو المؤتمر العام المدير العام خاصة إلى ما يلي:

(٥) أن يشجع إبرام الاتفاقيات الثنائية والمتعددة الأطراف بين الدول الأعضاء للتبادل في مجال دراسة وتنقيح الكتب المدرسية وغيرها من المواد التعليمية لضمان دقتها وتوازنها واستيفائها وعدم تحيزها، وإسهامها في تعزيز تبادل المعرفة والتفاهم بين مختلف الشعوب، حسبما جاء في توصية ١٩٧٤، وأن يمد الدول الأعضاء بالدعم التقني اللازم لهذا الغرض.

القرار ٢٨م/٥,٤١: الإعلان وإطار العمل المتكامل بشأن التربية من أجل السلام وحقوق الإنسان والديمقراطية، ١٩٩٥

المواد والموارد التعليمية

١٨- ينبغي أن توفر لجميع العاملين في النشاط التربوي المواد والموارد التعليمية الملائمة. وفي هذا الصدد، يتعين إجراء التعديلات اللازمة في الكتب المدرسية لتخليصها من الصور النمطية السلبية والمشوّهة التي تقدَّم عن «الآخرين». ومن الممكن تشجيع التعاون الدولي في إنتاج الكتب المدرسية. وكلما أريد إنتاج مواد تعليمية أو كتب مدرسية جديدة أو ما إلى ذلك، فإنه ينبغي تصميمها مع إيلاء الاعتبار اللازم للأوضاع الجديدة. وينبغي أن تقدّم الكتب المدرسية منظورات وتصورات مختلفة للموضوع المعني، وأن تبرز الخلفية الوطنية أو الثقافية التي استُند إليها في كتابتها. كما ينبغي أن يكون مضمونها قائماً على نتائج علمية. وينبغي وضع تكنولوجيات التعليم عن بُعد وكافة وسائل الاتصال الحديثة في خدمة التربية من أجل السلام وحقوق الإنسان والديمقراطية.

القرار ٢٩ م/٣٨: نحو ثقافة السلام، ١٩٩٧

باء-(جـ)إعطاء دفعة جديدة لجهود التجديد في مجال المناهج المدرسية ومضامين التعليم وأساليبه؛ والتشجيع على إبرام اتفاقات بين البلدان المتجاورة، أو البلدان المتنازعة، بشأن تنقيح الكتب المدرسية في مادتَي التاريخ والجغرافيا؛ ومواصلة الدعم لتنمية شبكة كراسي اليونسكو الجامعية للسلام وحقوق الإنسان والديمقراطية، وشبكة اليونسكو الدولية لمعاهد البحوث بشأن الكتب المدرسية.

القرار ٣١ م/٣، الفقرة الفرعية باء-١,٢,١: نحو نهج جديد للتعليم الجيد، ٢٠٠١

يأذن المؤتمر العام للمدير العام بما يلي:

(أ) تنفيذ خطة العمل الخاصة بهذا البرنامج الفرعي، من أجل ما يلي:

(١) النهوض بنهج جديد إزاء التعليم الجيد، على النحو الموضح في تقرير ديلور، وذلك عن طريق التركيز على اكتساب القيم والمواقف والمهارات اللازمة لمواجهة تحديات المجتمع المعاصر والتنمية المستديمة والعولمة، مع التركيز الواضح على تعليم حقوق الإنسان، وإصلاح المناهج الدراسية، وتنقيح الكتب التعليمية، وعلى شبكة المدارس المنتسبة.

٣٥ م/إعلام ٢٨ المعدلة: العناصر الأساسية لاجتماع المائدة المستديرة الوزاري بشأن التعليم، ٢٠٠٩

تمثل تكنولوجيات المعلومات والاتصال محركات للعولمة. فهي تنطوي على قدرات هائلة ولكن سرعة تطورها تهدد بتوسيع الفجوة الرقمية القائمة. والطابع الاستيعابي للتعليم يعني أيضاً ضمان الانتفاع بهذه الأدوات الجديدة التي تحدث ثورة في وسائل التعلّم وسبل حصولنا على المعلومات. وقامت عدة بلدان بتشاطر المبادرات المتصلة بتكنولوجيا المعلومات والاتصال، ابتداءً من الربط الشبكي للمدارس الثانوية إلى تطوير مواد التعلّم الإلكترونية أو استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصال في مجال تدريب المعلمين.

٣٦ م/٥، البرنامج الرئيسي الأول، الأولوية القطاعية الأولى لفترة العامين: تحسين الإنصاف والاستيعاب والجودة في التعليم والتعلّم مدى الحياة من أجل تحقيق التنمية المستدامة وإحلال ثقافة السلام واللاعنف

(٣) مساندة الدول الأعضاء في تأهيل الدارسين لكي يصبحوا مواطنين عالميين مسؤولين، وذلك عن طريق معالجة قضايا من قبيل التنمية المستدامة، بما في ذلك تغير المناخ، والتعليم في مجالات فيروس نقص المناعة البشرية، وحقوق الإنسان، والقيم العالمية الشاملة، سواء على صعيد مضامين التعليم أو على صعيد توفير التعليم.

برنامج الملك عبد الله بن عبد العزيز
لثقافة السلام والحوار

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة